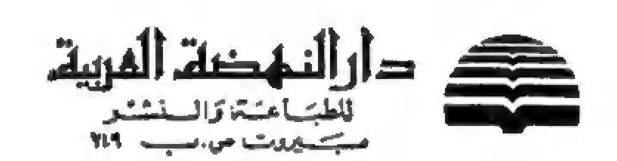
دولة الأدارسة في المغرب والأندلس

القسم الثاني

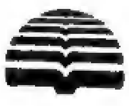
تأليف

الدكتور سعدون نصر الله



الطبعة الاولى 1996 م .

الناشر


دار النهضة العربية

للطباعة والنشر

الادارة : بيروت - شارع مدحت باشا - بناية كريدية
تلفون : 818704 - 818705 - 736093
برقيا : دانهضة - ص . ب 749 - 11
فاكس : 232-4871-212-001
فاكس : 735295 - 1 - 00961

المكتبة : شارع البستاني - بناية اسكندراني رقم 3
غربي جامعة بيروت العربية
تلفون : 316202 - 818703

المستودع : بئر حسن - خلف تلفزيون المشرق - سابقا
بناية كريدية - تلفون : 833180

الإهـــداء

إلى التي ساعدتني

على كتابة هذا البحث

ووفرت لي كل الوسائل.

إلى ديانا زوجتي العزيزة

أهدي هذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تقاس قوة الدولة أحياناً بمساحتها وبكثرة سكانها وبثروتها المادية وأحياناً بشخص حاكمها. فكم من الدول لم تتوفر لها عوامل القوة لعبت دوراً مهماً في التاريخ وذلك بفضل عبقرية حكامها وشخصيتهم الفذة. وهذا شأن دولة الإدراسة في المغرب الأقصى، فقد أسسها رجل فرد نجا من سيوف العباسيين في مجزرة فخ، ذلك هو الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

كان أول طالبي وفد إلى تلك الديار النائية، واستطاع أن يقيم دولة اقضت مضاجع العباسيين شرقاً والأمويين غرباً. صرف هرون الرشيد الملك العباسي جهده حتى استطاع اغتيال الإمام إدريس الأول والحكم بن هشام الأموي اثر مهادنة عدو العرب شارلمان ملك الفرنج لينصرف لمواجهة الدولة الجديدة في عدوة المغرب. وكذلك فعل الحكم الثاني بن عبد الرحمن الناصر أكثر من ذلك، إذ جرد الثغور الشمالية للأندلس المواجهة للنصارى الإسبان من القوة التي تحميها من العدو الرئيس للعرب ونقل الجيش إلى المغرب لقتال الإدارسة.

وحال الدول أنها تلعب دورها في قيادة العالم في مرحلة قوتها ثم تضعف وهذه حتمية التاريخ في قيام الدول وانهيارها. إذ بعد قرنين من قيامها سقطت دولة الإدارسة في المغرب بعد أن مصرته وحولته من ولاية مغمورة إلى دولة مشهورة ومن أرياف وقرى صغيرة إلى مدن وأمصار

عامرة، فقد أسس الإدارسة عدداً من المدن ما زالت تقوم بدورها الذي أنشئت من أجله وخاصة مدينة فاس التي دعا لها الإمام إدريس الثاني «اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك وتقام حدودك». فكانت جامعة القرويين أقدم جامعة علمية في التاريخ.

وموقف الإدارسة من الدين الإسلامي والاهتمام به ينسجم مع نسبهم الشريف. فقد قضوا على ما تبقى من الوثنية واليهودية والنصرانية في تلك الديار، إذ كانت لا تزال فئات تعمل وفق هذه المعتقدات، ولم يستطع الولاة العرب السابقون منذ الفتح وضع حدٍ لها، فإذ بالإدارسة ـ وخاصة الإمامين إدريس الأول وابنه إدريس الثاني ـ يضعون حداً لهذه المعتقدات وإذ بالمغرب دولة مسلمة خالصة. ومن باب حرصهم على المسلمين، أنهم كانوا يرفضون استقبال أي متمرد على أية سلطة إسلامية مهما كانت معادية لهم يدين بغير الإسلام. فقد رفض الأمير إبراهيم بن القاسم بن إدريس استقبال موفد عمر بن حفصون المتمرد الإندلسي على الأمويين هناك، وكان يريد الحصول على تأييد الأمير الإدريسي ومباركته لثورته مستغلاً العداء التقليدي بين الهاشميين والطالبيين، خاصة عندما علم ارتداد ابن حفصون عن الإسلام إلى النصرانية، وهذا يدل على ايمان ثابت وعقيدة راسخة بالإسلام وعدم التعامل مع أعدائه.

ولكثرة الأعداء زالت الأسرة الحاكمة في المغرب لتعود فتبعث من جديد في الأندلس وتحكم ذلك القطر النائي حوالي نصف قرن ٤٠٧ ـ ٤٥٠هـ في مرحلة لا يحسدهم فيها أحد، إذ وصل الحموديون الإدارسة إلى حكم الأندلس، وقد تحولت تلك الدولة الموحدة إلى دويلات حكامها كالضرائر المتناحرة.

وحاول الحموديون فرض النظام وتطبيق العدل ولكن بعد فوات الأوان، إذ تسلط الخصيان والفتيان الذين كانوا بمثابة العبيد على حكم

دويلات المدن «والعبيد أنجاس مناكيد» فقد عملوا على انهيار الأندلس، ولم يستطع الحموديون الحكام الجدد انقاذ ما أفسد الخصيان هناك. وغابوا عن الحكم بعد نصف قرن من حكمهم للفردوس المفقود.

أسرة حاكمة تنتسب إلى رجل فرد:

كان من نفسه الكبيرة في جيش   ومن كبرياه في سلطان

متمثلة بقول جدها أبي طالب عليه السلام في نقض صحيفة قريش:

أليس أبونا هاشم شد إزره   وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلنسا نمل الحرب حتى تملنا   ولا نشتكي مما يؤول من النصب

سأنزل البحث في جزأين الجزء الأول يتعلق بالدولة في المغرب والثاني يختص بالدولة في الأندلس.

الجزء الأول من أربعة فصول، الأول يتضمن استمرار الدولة موحدة حتى قدوم الفاطميين والثاني خضوع الدولة للفاطميين والصراع بين الإدارسة وموسى بن أبي العافية البربري وهزيمتهم وموقف المغاربة المؤيد لهم ضد ابن أبي العافية. وسأشير في الفصل الثالث إلى التدخل الأموي في شؤون المغرب هذا التدخل أدى إلى سقوطها فيما بعد.

سأبحث في الفصل الأخير أهم الأحداث التي حدثت في عهدهم من اقتصادية واجتماعية وكذلك الحركة العمرانية، فقد حولوا المغرب من أرياف إلى مدن زاهرة تتصدرها مدينة فاس، وكذلك شيدوا المساجد وشجعوا على تشييدها وخاصة جامع القرويين الذي مع الاحتفاظ بمهمته الدينية أضحى أول جامعة نظامية في التاريخ، وكيف كان الانتساب إليها وطرق التدريس والاختصاص والعلماء وكتب التدريس وأشهر من درس فيها حتى آخر عهد الموحدين.

فكانت فاس كما تمنى لها أن تكون مؤسسها الإمام إدريس الثاني دار علم وفقه.

وفي الجزء الثاني سأبين كيف وصل أحفاد إدريس الحموديون إلى حكم الأندلس وكيف حكموه والصراع الذي كان يدور بينهم وبين الصقالبة والفتيان العامريين في مرحلة كانت الأندلس قد دخلت فيها مرحلة الانحطاط ولو توفر العنصر البشري للإسبان في تلك المرحلة لطردوا العرب منها منذ ذلك الحين.

ولم يستطع الحموديون تغيير مجرى الأحداث بعد تآمر حكام الأندلس على بعضهم واستعانتهم بالنصارى الإسبان ضد أبناء دينهم وجلدتهم للاحتفاظ بمكاسب آنية زائلة على حساب وطنهم.

وسقطت الدولة الحمودية بعد نصف قرن تقريباً مع أنها كانت تحمل بذور سقوطها منذ قيامها ولا يد للحموديين في انحطاط الأندلس فكانوا كمن يؤخر حدوث الكارثة.

وبسقوط دولتهم دخلت الأندس مرحلة جديدة من التفكك والانحطاط كاد يؤدي بها في ذلك الوقت لولا قدوم المرابطين الذين أنقذوا ما تبقى منها مدة أربعة قرون.

بعلبك في نيسان ١٩٩٦

ذي الحجة ١٤١٦

الجــزء الأول

الفصل الأول : استمرار الدولة موحدة حتى قدوم الفاطميين.

الفصل الثاني : العلاقات مع الفاطميين.

الفصل الثالث: التدخل الأموي في شؤون المغرب الأقصى.

الفصل الرابع : أهم أحداث المغرب في عهد الأدارسة.

الفصـل الأول
استمرار الدولة موحدة حتى قدوم الفاطميين

خرجت دولة الأدارسة من حرب الأخوة منتصرة على التجزئة الانفصال وعادت موحدة تحت حكم الإمام محمد. ولكن القدر باغته فوافته المنية سنة ٢٢١هـ وخلفه ابنه علي بعهد منه.

بويع الأمير علي بن محمد بن إدريس الملقب بحيدرة[١] بالإمامة نهار وفاة والده وكان قد استخلفه في حياته[٢] وعمره تسعة أعوام وأربعة أشهر فتكون ولادته في كانون الثاني ٨٢٧هـ/ محرم ٢١٢هـ[٣]. كان نبيلاً ذكياً فاضلاً يتمتع بالصفات التي يقتضيها شرفه ونسبه[٤]، وظهرت هذه الصفات بأعماله عندما تسلم الحكم. نظم البلاد وضبطها، أقام الحق، واهتم بالثغور، وساعدته حاشيته في شؤون الحكم من العرب والبربر وخاصة أوربا، ونعم سكان المغرب بالأمن والاستقرار[٥] وظلت الحال كذلك إلى أن وافته المنية في رجب ٢٣٤هـ/ شباط ٨٤٩م[٦] وخلفه أخوه يحيى بن

---

(١) وهو لقب جده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الاستقصا ١/ ١٧٤.

(٢) روض القرطاس ص ٥٣ ـ البكري ص ١٢٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية: الدولة الإدريسية ص ٥٤٩.

(٣) الاستقصا ١/ ١٧٥ ـ ابن خلدون ٤/ ١٤ ـ Hamet. p. 16.

(٤) الاستقصا ١/ ١٧٥.

(٥) أعمال الإعلام ص ٢٠٧ ـ روض القرطاس ص ٥٣. H. p. 16.

(٦) روض القرطاس ص ٥٣ ـ دائرة المعارف الإسلامية ص ٥٤٩ ـ أعمال الاعلام ص ٢٠٧.

محمد الذي بدأ عهده بتنظيم بلاده إدارياً فولى أعمامه وأخواله أعمال المغرب[1] فأعطى الحسين المنطقة الواقعة جنوب فاس إلى أغمات، وداود المنطقة الواقعة شرق فاس مكناسة وهواره وصدينة والقاسم غرب فاس لماية وكتامة[2] واعتمد عليهم في إدارة شؤون البلاد فاستمالوا القبائل وقالوا: (إنما نحن أبناء أب واحد)[3].

وفي عهد الأمير يحيى كثر العمران في مدينة فاس إذ أضحت قبلة الأندلس والمغرب وأفريقية[4] إذ قصدها الناس للسكن فيها فتوسعت كثيراً وامتد البناء إلى خارج الأسوار[5] إلى الأرياض. واهتم الأمير يحيى بالمرافق العامة لتأمين الرفاهية لسكان عاصمته فبنى الحمامات والفنادق، وكذلك اهتم براحة التجار[6]. وفي عهده بُني جامع القرويين في رمضان ٢٤٥هـ/ ٢ كانون الأول ٨٥٩م.

وبعد وفاته استمرت الدولة في أولاده فخلفه ابنه يحيى[7] وفي عهده دخلت الدولة مرحلة الانحطاط إذ كان فاسداً مستهتراً سيء السيرة كثر عبثه في الحرام[8]، أعجب بجارية يهودية جميلة اسمها حنة[9] ودخل عليها الحمام وراودها عن نفسها فاستغاثت وأسرع الذين سمعوا نداء الاستغاثة

---

(١) البيان المغرب ص ٢١١جـ.

(٢) البيان المغرب ص ٢١١.

(٣) البيان ص ٢١١.

(٤) روض القرطاس ص ٥٤ ـ الاستقصا ١/ ١٧٥ ـ H: P. 19.

(٥) دائرة معارف القرن العشرين ص ١٢٢.

(٦) روض القرطاس ص ٥٤ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥.

(٧) روض القرطاس ص ٧٧ ـ دائرة المعارف الإسلامية ص ٥٤٩ ـ H. p. 19.

(٨) الاستقصا ١/١٧٨ ـ دائرة معارف القرن العشرين ١٢٢ ـ دائرة المعارف الإسلامية ٥٤٩. M. p. 124.

(٩) البكري ص ١٢٢ ـ روض القرطاس ص ٧٧ ـ أعمال الاعلام ص ٢٠٧ ولم يذكر الاسم. M. p 124.

لنجدتها وأنكروا على الأمير فعلته، وهذا العمل غير سكان مدينة فاس عليه[١] وعلى رأسهم عبد الرحمن بن أبـي سهل الجذامي[٢] الذي قاد العامة يريد قتل الأمير يحيـى لعمله السيء. ولكن زوجته الأمير عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس سهلت له أمر الفرار من عدوة القرويين إلى عدوة الأندلسيين وقد رفضت الخروج معه[٣]. ولما وصل آمناً إليها ندم على عمله ومات من ليلته خشية العار والخجل والفضيحة[٤].

كان عمل الأمير يحيـى هذا مقدمة لتدخل العامة في شؤون الدولة، فقد تولى الأمر في فاس عبد الرحمن بن سهل الجذامي[٥]، ولأول مرة في تاريخ دولة الأدارسة يتولى الأمر في فاس رجل غريب عنهم مما أضعف من مركزهم في بلاد المغرب وأسقطهم من عيون رعيتهم، إذ بدأ المغاربة يتجرأون على التمرد والعصيان عليهم ومحاربتهم بعد تلك المكانة المحاطة بالهالة من القدسية والاحترام لأحفاد النبـي محمد ﷺ وقد أدى الأمر فيما بعد إلى زوال دولتهم من الوجود. إن الأعمال العظيمة التي قام بها المؤسسون الأوائل قد هدمها أحفادهم من الأمراء المتهتكين المستهترين بالقيم الإسلامية، فلم يراعوا حرمة النسب الشريف الذي جعل المغاربة يحترمونهم، ولا أهمية المركز الذي تبوأوه، إذ أخذوا ينجرفون نحو الفاسد التي لا تتناسب سواء مع مركزهم أو نسبهم. ساء تصرف الأمير يحيـى زوجته عاتكة إذ رأت ما حل بالبيت الإدريسي وعلى يد زوجها من الذل وما أصاب الدولة من الانهيار، إذ تولى أمر فاس رجل من الرعية، فأرادت أن تقوم بعمل ينقذ الدولة من السقوط، وهنا برزت عبقريتها فهي هاشمية

(١) روض القرطاس ص ٧٧ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥ ـ أعمال الاعلام ص ٢١٨. M. p 124.

(٢) البكري ص ١٢٤.

(٣) البكري ص ١٢٤ ـ روض القرطاس ص ٧٨.

(٤) أعمال الاعلام ص ٢٠٨ ـ الاستقصا ١/ ١٧٨ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥.

(٥) الاستقصا ١/ ١٧٨ ـ روض القرطاس ص ٧٨.

سليلة الهاشميات الأوائل صانعات التاريخ، فلما علمت بوفاة زوجها وتولي عبد الرحمن الجذامي الحكم في فاس بادرت بالكتابة إلى والدها علي بن عمر[١] تعلمه بأحوال مدينة فاس وما آلت إليها الأمور فيها وتطلب منه الإسراع إلى فاس لتولي الأمر فيها قبل استفحال أمر الجذامي. وكذلك فعل رجال الدولة من العرب والبربر والموالي[٢].

كان الأمير علي صاحب الريف وبلاد صنهاجة وغماره[٣]، فلما وصله الكتاب جهز جيشاً من أنصاره وأعوانه واتجه نحو مدينة فاس ودخل عدوة القرويين التي فر منها الجذامي[٤].

كان سكان فاس لا يزالون على ولائهم للأدارسة، إذ لا يمكن أن ينسوا بسهولة فضل الأدارسة، وما قدموا للمغرب من خدمات جلى إذ جعلوا منه لأول مرة دولة لها كيانها الدولي المستقل وقد صمدوا في وجه الخلافة العباسية، وكسروا شوكة الخوارج ووضعوا حداً لتصرفاتهم الفاسدة والإغارة على مدن المغرب. والأدارسة هم الذين وضعوا البربر على احتكاك مباشر بالإسلام[٥] والنتيجة واضحة وهي اعتناق المناطق الواقعة تحت سيطرتهم الإسلام[٦] بعد أن كانت فيها اليهودية والمجوسية والنصرانية وقد عجز الفاتحون الأوائل من القضاء على هذه المعتقدات.

هذه الحالة السامية في النفوس لم تنس المغاربة أعمال فردية سيئة قام بها عن جهل وطيش أحد الأمراء ـ وقد أودت بحياته ـ إذ عندما وصل

---

(١) روض القرطاس ص ٧٨ ـ الاستقصا ١/ ١٧٨.
(٢) الاستقصا ١/ ١٧٨ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥ ـ Hamet: p 19.
(٣) اعمال الاعلام ص ٢٠٨.
(٤) ابن خلدون ٤/ ١٥. Histoire de Maghreb p 124.
(٥) العروي ص ١١١.
(٦) العروي ص ١١٢.

الأمير علي إلى فاس سارع سكانها في العدوتين إلى مبايعته وأقاموا الخطب له على منابرها[1].

استقر الأمير علي بعاصمته الجديدة ينظم شؤونها، ولكنه تعرض لثورة خارجية جديدة، إذ ثار بجبال بويبلان الخارجي عبد الرزاق الفهري الصفري[2] وكان من أهالي وشقة في الأندلس وقد اتبعه كثير من برير مديونة[3] وغيرها وبنى قلعة بجبل سهل بجوار بلاد مديونة[4] أطلق عليها اسم وشقه باسم مسقط رأسه في الأندلس، ثم هاجم صفرو واستولى عليها[5] والتف حوله كثير من البربر، فلم أنس من نفسه القوة زحف نحو مدينة فاس يريد الاستيلاء عليها. خرج إليه الأمير علي ودارت بينهما معارك طاحنة أسفرت عن هزيمة الأمير علي الذي فر إلى بلاد أوربا[6] ودخل الخارجي عدوة الأندلسيين وخُطب له فيها[7] بينما امتنع عليه أهل عدوة القرويين وقاوموه[8]. وهنا دخلت الدولة في امتحان جديد، هل تستطيع المحافظة على بقائها أم تزول من الوجود؟ إذ دخل الخوارج العاصمة بعد نصر عسكري أحرزوه على الأدارسة. ومعنى ذلك أن الدولة على شفير السقوط بعد سقوط عاصمتها. وبرز دور سكان مدينة فاس، إذ لم يكتنفوا بمقاومة الخارجي بل أرسلوا إلى يحيى بن القاسم بن

---

(١) روض القرطاس ص ٧٨ ـ أعمال الاعلام ص ٢٠٨ ـ الاستقصا ١/ ١٧٩.

(٢) البيان المغرب ص ٢١٢ ـ روض القرطاس ص ٧٨. وجبال بويبلان تقع جنوب شرق فاس.

(٣) اعمال الاعلام ص ٢٠٨ ـ البكري ص ١٢٥ ـ H: p 19.

(٤) روض القرطاس ص ٧٩.

(٥) الاستقصا ١/ ١٧٩ ـ روض القرطاس ص ٧٩.

(٦) البكري ص ١٢٥ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥ ـ دائر المعارف الإسلامية ص ٥٤٩ البيان المغرب / ٢١٢. H: p 19.

(٧) روض القرطاس ص ٧٩ ـ البكري ص ١٢٥.

(٨) اعمال الاعلام ص ٢٠٩ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥ ـ الاستقصا ١/ ١٧٩.

إدريس[1] الملقب بالمقدام[2] يحثونه على المجيء إليهم لإنقاذهم من الخارجي. كان هذا الطلب من سكان عدوة القرويين بمثابة اعتراف شرعي بحق الأدارسة الشرعي ورفض الاحتلال الخارجي، ووجود أمير من الأدارسة يقود الجيش والشعب يرفع من معنويات السكان، إذ أنهم يقاتلون تحت لواء أمير شرعي غير مغتصب للسلطة مما يقوي النفوس ويدفعها إلى القتال بحماس.

أسرع الأمير يحيى إلى فاس والتف حوله سكانها وبايعوه، ثم بدأ بتنفيذ العمل الذي جاء من أجله إلا وهو القضاء على عبد الرزاق الخارجي فهاجمه بقوة وأخرجه من عدوة الأندلسيين[3] ودخل الأمير يحيى وبايعه سكانها.

اهتم الأمير بشؤونها فعين عليها ثعلبة بن محارب بن عبد الله من مدينة شذونة الأندلسية وكان مقيماً بالربض[4] فقام بالأمر إلى أن توفي فعين الأمير ابنه عبد الله الملقب بعبود ثم توفي فخلفه في مكانه ابنه محارب بأمر من الأمير.

بعد أن نظم الأمير يحيى شؤون مدينة فاس جهز جيشاً لقتال الخوارج الصفرية فكانت له معهم معارك عنيفة. ولم يزل الأمير يحيى قائماً بالأمر إلى أن خرج عليه ربيع بن سليمان[5] سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م

---

(١) روض القرطاس ص ٧٩ ـ البكري ص ١٢٥ ـ اعمال الإسلام ص ٢٠٩ ـ البيان المغرب ١/ ٢١٢.

(٢) إسلامية ص ٥٥٠.

(٣) روض القرطاس ص ٧٩ ـ البيام المغرب ١/ ٢١٢ ـ الاستقصا ١/ ١٨٠.

(٤) وهو من قبيلة الأزد من ولد المهلب بن أبي صفرة روض القرطاس ص ٧٩ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥.

(٥) البكري ص ١٢٥ ـ ابن خلدون ص ١٥ ـ أعمال الإعلام ص ٢٠٩ ويذكر السنة خطأً =

ودارت الدائرة على الأمير فقتل في العام المذكور وخلفه حفيد عمه يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس[1] سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م كان يحيى واسطة عقد البيت الادريسي واعلاهم قدراً وأبعدهم ذكراً وأكثرهم عدلاً وأوسعهم ملكاً. كان فقيهاً حافظاً للحديث ذا فصاحة وبيان بطلاً شجاعاً حازماً ذا إصلاح ودين وورع[2] وفي عهده دخلت الدولة الأدريسية مرحلة جديدة من العلاقات الخارجية.

= ٢٧٢ روض القرطاس ص ٧٩.

(١) روض القرطاس ص ٧٩ ـ اعمال الاعلام ص ٢٠٩ ـ H: p 19.

(٢) الاستقصا ١/١٨١ ـ ابن خلدون ٤/١٦. M. p 124.

الفصل الثاني
العلاقات مع الفاطميين

بدأت الدولة الفاطمية بالتوسع نحو الغرب بعد أن وطدت دعائمها في افريقيا فأرسل الخليفة عبيد الله المهدي[١] سنة ٣٠٥هـ/٩١٨ قائده مصالة بن حبوس المكناسي ليستولي على المغرب الأقصى وينشر المذهب الشيعي فيه[٢]، فكان الصدام الأول بين الدولتين الشقيقتين بالنسب والمختلفتين في السياسة، ويبدو أن الهدف من الحملة هو نشر المذهب الشيعي وأخذ البيعة للخليفة الفاطمي والاعتراف بلسطانه في المغرب الأقصى.

زحف مصالة على المغرب حتى انتهى إلى مكناسة، وكان الإمام يحيى بن إدريس قد أعد العدة للقائه بجيش من العرب والبربر والموالي، ولكنه انهزم أمام الجيش الفاطمي[٣] وارتد نحو فاس وتحصن فيها. تقدم مصالة نحو المدينة وحاصره فيها إلى أن اكرهه على بيعة الخليفة الفاطمي المهدي، وعلى مالٍ يؤديه إليه مع بقائه حاكماً على فاس وأعمالها[٤] بعد

---

(١) عبيد الله المهدي أول خليفة فاطمي بويع بالخلافة في تونس.

(٢) روض القرطاس ص ٨٠ ـ البيان المغرب ١/ ٢١٢ ـ اعمال الاعلام ص ٢١٠. البكري ص ١٢٥ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٤ و ٤/ ١٦ ـ الدولة الفاطمية ص ٨٨.

(٣) العروي ص ١٣٥ ـ الدولة الفاطمية ص ٨٨. M. 125.

(٤) البكري ص ١٢٥ ـ روض القرطاس ص ٨٠ الاستقصا ١/ ١٨٢ ابن خلدون ٤/ ١٦ ـ الدولة الفاطمية ص ٨٨ ـ H. p 31.

ويذكر ابن الخطيب في اعمال الاعلام ص ٢١٠ وصالحه على أخذ البيعة للشيعة.

. M. 125

أن قطع منه سائر أنحاء المغرب واعطاه لابن عمه موسى بن أبـي العافية المكناسي[١].

كانت حملة مصالة أول ضربة تصيب الدولة الادريسية في الصميم، إذ لأول مرة منذ تأسيسها تفقد سيادتها وتصبح تابعة لدولة ثانية فرضت عليها مذهبها الديني والضرائب وسلخت عنها القسم الأكبر من أراضيها واعطتها لعدو لدود للادارسة، فمنذ قيامها كانت الدعوة للأئمة الادارسة في خطب الجمعة والأعياد والمناسبات فأصبحت منذ سنة ٣٠٥هـ/ تقام باسم الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي «وفقاً للصلح مع مصالة القائد الفاطمي».

وبعد ان كانت الأموال تجبى لصالح الدولة الادريسية أصبحت بعد ذلك التاريخ تجبى لصالح الفاطميين. وهكذا تحولت الدولة إلى ولاية تابعة للفاطميين في افريقيا.

ولم يكف ما أصاب الدولة من انهيار وفقدان السيادة، فقد طمع موسى بن أبـي العافية بالاستيلاء على ما تبقى من أراض تحت سيادتها. كان موسى صاحب تازا وتسول وهو زعيم قبيلة مكناسة بالمغرب الأقصى ويمت بصلة القرابة إلى قائد الفاطميين مصالة المكناسي، فقد قاتل معه في جميع الحروب التي خاضها في المغرب الأقصى[٢] وتقرب إليه بالإحسان واغدق عليه الهدايا[٣].

كان لهذا العمل أثر حسن في نفس مصالة فقربه إليه وقدمه على سائر أمراء المغرب الأقصى[٤] فولاه المناطق التي اقتطعها من الادارسة ما عدا

(١) H. p 31.

(٢) البكري ص ١٢٥ ـ البيان المغرب ١/ ٢١٢ ـ الاستقصا ١/ ١٨٠.

(٣) البكري ص ١٢٥.

(٤) روض القرطاس ص ٨٠ ـ ابن خلدون ٤/ ١٦.

مدينة فاس التي تركها للإمام يحيى[١] وتمتد من الريف إلى وادي أبي رقراق[٢]. وبعد عودة مصالة إلى افريقية توترت العلاقات بين الأمير يحيى وموسى بن أبـي العافية[٣] إذ استاء الأمير من اقتطاع أكثر أجزاء دولته وإعطائها لعدوه موسى، فأخذ يشن الغارات عليه لاسترداد ما فقده من أراض متسلحاً بأنه الإمام الشرعي والحاكم الذي يتمتع ببيعة سكان المغرب وان ما تنازل عنه من أراض كان نتيجة تغلب الفاطميين عليه، أما الآن وقد ابتعد الخطر الفاطمي ورحل مصالة فلا بد من استرداد ما أخذ منه عنوة[٤].

وبالمقابل كان موسى يريد أن يستولي على ما تبقى من المغرب بيد الإدارسة وخاصة العاصمة فاس[٥] مستنداً إلى ما يتمتع به من قوة تعود إلى قبيلته مكناسة وإلى البربر الذين يتحدر منهم، فهو زعيم قبيلة مكناسة القوية التي تفرض وجودها على بربر المغرب الأقصى، وقدا ازداد قوة بوجود نسيبه القائد مصالة على رأس الجيوش الفاطمية، إذ كل مقومات القوة لاسقاط حكم الادارسة كانت متوفرة لموسى، ولكن كان ينقصه السند الشرعي، فالادارسة أحفاد النبـي محمد ﷺ وهم أئمة ولهم مكانة سامية تأصلت في نفوس سكان المغرب عرباً وبربراً منذ أن وطئت أقدامهم جبل زرهون[٦] قبل قرن وربع القرن من الزمن وهي مدة ليست بالقصيرة. فقد شبت أجيال عدة على محبة أهل بيت الرسول محمد ﷺ والولاء لهم فلا يمكن لابن أبي العافية وهو بربري أن يقضي على هذا النفوذ الديني بسهولة، لذلك كان يتحين الفرص المناسبة ليسقط حكم الادارسة دون

---

(١) البيان المغرب ١/ ٢١٢ ـ الاستقصا ١/ ١٨٢.

(٢) العروي ص ١٣٥.

(٣) اعمال الإعلام ص ٢١٠ ـ ابن خلدون ٤/ ١٦ ـ H. p 31.

(٤) البيان المغرب ١/ ٢١٢ ـ اعمال الاعلام ص ٢١٠ ويذكر ابن الخطيب: بسبب مجاورته إياه تخوم أرضه.

(٥) روض القرطاس ص ٨٠ ـ البكري ص ١٢٦.

(٦) قال بربر أوربا عند مبايعة الإمام إدريس الأول: الحمد لله الذي شرفنا بمجيئه.

احتجاج من المواطنين، وقد وافته الفرصة عام ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م في حملة مصالة الثانية على المغرب الأقصى[١].

زحف مصالة على المغرب الأقصى للمرة الثانية، وكان الهدف هذه المرة تأكيد السيادة الفاطمية عليه وبث الرعب في نفوس القبائل التي بقي ولاؤها للفاطميين ضعيفاً[٢].

اغتنم موسى بن أبي العافية هذه المناسبة ليتخلص من الإمام يحيى بن ادريس ولكن بغير سيفه، فقد اغتنم المودة والقربى التي تربطه بمصالة[٣] وأوغر صدر القائد على الإمام يحيى وأقنعه بضرورة القضاء عليه لصالح الدولة الفاطمية، عندئذ عزم مصالة على التخلص من الإمام يحيى طمعاً في ماله وملكه[٤] فعمل على استدراجه ليظفر به. ولما اقترب مصالة من مدينة فاس خرج الإمام يحيى لاستقباله يحيط به وجوه قومه وقادة جيشه[٥] انتهز مصالة الفرصة وقبض عليهم جميعاً وكبل يحيى بالحديد وأركبه جملاً وأدخله مدينة فاس وهو على هذه الحال[٦] وسامه أشد أنواع العذاب حتى أخرج إليه أمواله وذخائره[٧]. وقد قال أحد شعراء الفاطميين يعرض بمدينة فاس بهذه المناسبة[٨]:

دخلت فاساً ولي شوق إلى فاس والجبن يأخذ بالعينين والرأس
فلست ادخل فاساً ما حييت ولو أعطيت فاساً بما فيها من الناس

---

(١) المغرب ص ١٢٦ ـ ابن خلدون ٤/ ١٦، ٦/ ١٣٤ ـ روض القرطاس ص ٨٠ ـ الدولة الفاطمية ص ٨٨.
(٢) H. p31.
(٣) البيان المغرب جـ ١ ص ٢١٢.
(٤) المغرب ص ١٢٦ ـ الدولة الفاطمية ص ٨٨.
(٥) روض القرطاس ص ٨٠ ـ اعمال الاعلام ص ٢١٢.
(٦) روض القرطاس ص ٨٠ ـ دائرة معارف القرن العشرين ص ٢٢.
(٧) ابن خلدون ٤/ ١٦ ـ البكري ص ١٢٦ ـ البيان المغرب ١/ ٢٣.
(٨) البيان المغرب ١/ ١٨٣.

فلما قبض مصالة الأموال عزله عن مدينة فاس ونفاه إلى مدينة أصيلا[1] وتفرق أنصاره وانفضوا من حوله. أقام الإمام يحيى في منفاه الجديد مع بني عمه الذين كرموه ووصلوه وعملوا ما بوسعهم اتجاهه صلة للرحم[2] ويبدو أن الإمام يحيى لم يكن مرتاحاً لوضعه الجديد فترك أصيلاً منفاه ورحل نحو افريقيا[3] وكان موسى يترصده ويراقب خطواته استعداداً للتخلص منه فلما علم بخبر خروجه من أصيلا قبض عليه وسجنه في مدينة الكاي حوالي عشرين سنة[4]. ثم أطلق سراحه فتابع الإمام رحلته نحو افريقيا وهو في ضيق وفقر[5] وذلك سنة ٣٣١ هـ/ فوصل إلى المهدية أثناء فتنة مخلد بن كيداد الزناتي وحصاره لها[6] وهو على تلك الحال. وكأن القدر ساعد خصومه عليه. فبعد أن كان يتمنى الخلاص من شقائه الذي أصابه على يد موسى فإذا بالشقاء أمامه، وتوفي جائعاً بالمهدية سنة ٣٣٢ هـ/ ٩٤٥[7] م.

بعد اعتقال يحيى بن ادريس عين مصالة على مدينة فاس ريحان المكناسي[8] وقفل راجعاً إلى افريقيا[9]. بقي ريحان والياً على المدينة

---

(١) ابن خلدون ٦/ ١٣٤ ـ H. p 31.
(٢) روض القرطاس ص ١. ـ ابن خلدون ٤/ ١٦. M. 125.
(٣) اعمال الاعلام ص ٢١١.
(٤) البكري ص ١٢٦.
(٥) روض القرطاس ص ٨١.
(٦) ابن خلدون ٤/ ١٦ ـ البكري ص ١٢٦ ـ اعمال الاعلام ص ٢١١ ـ روض القرطاس ص ٨١.
(٧) البكري ص ١٢٦ ـ روض القرطاس ص ٨١ ـ دائرة معارف القرن العشرين ص ١٢٢ ـ الدولة الفاطمية ص ٨٨. M. 125.
(٨) روض القرطاس ص ٨١ ـ اعمال الاعلام ص ٢١١ ويسميه الكتامي وكذلك ابن خلدون ٤/ ١٦ و ٦/ ١٣٤ والدولة الفاطمية الكتامي ص ٨٨.
(٩) روض القرطاس ص ٨١.

واحوازها مدة ثلاث سنوات[1] إلى أن انتزعها منه الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس الملقب بالحجام[2] وسبب تسميته بالحجام انه كان بينه وبين عمه أحمد بن القاسم حرب حمل فيها الحسن على فرسان عمه فطعن واحداً في المحاجم ثم ثانياً ثم ثالثاً فقال عمه عندئذ «أن ابن أخي الحسن حجام» ولزمه اللقب وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

وسميت حجاماً ولست بحاجم ... ولكن لطعن في مكان المحاجم[3]

لما علم الحسن باعتقال يحيى بن ادريس ونفيه وتعيين ريحان المكناسي والياً على فاس أعد مجموعة من أنصاره المخلصين ودخل بهم المدينة خفية سنة ٣١٠/ ٩٢٣[4].

ولما انتشر خبر وجوده في المدينة أسرع سكانها لاستقباله وبايعوه[5]، فابعد واليها ريحاناً واستعاد ملك آبائه، وبعد ذلك تلقى بيعة أكثر قبائل البربر[6] ومد نفوذه على مدينة لواته وصفرو ومديونة ومكناسة والبصرة[7]، واستقام له الأمر في المغرب مدة سنتين[8] إلى نشب القتال بينه وبين موسى بن أبي الفاضية.

ففي سنة ٣١١هـ/ ٩٢٤ خرج الأمير الحسن من فاس لقتال موسى بعد أن عين عليها حامد بن حمدان الهمداني، والتقى الجيشان بفحصْ الزاد

---

(١) روض القرطاس ص ٨١.
(٢) اعمال الاعلام ص ٢١٢ ـ ابن خلدون ٤/ ١٦ ـ دائرة إسلامية ص ٥٥٠ ـ H. p 31.
(٣) روض القرطاس ٨٢ ـ اعمال الاعلام ص ٢١٢.
(٤) إسلامية ٥٥٠ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٤ ـ روض القرطاس ٨٢.
(٥) روض القرطاس ص ٨٢ ـ الدولة الفاطمية ٨٨.
(٦) روض القرطاس ص ٨٢ ـ H. P 31.
(٧) روض القرطاس ص ٨٢.
(٨) ابن خلدون ٤/ ١٦.

على مقربة من وادي المطاحن بين فاس وتازا[1] حيث دارت معركة رهيبة لم يشهد المغرب الأقصى مثلها منذ قيام دولة الإدارسة فقد امتلأت أرض المعركة بحوالي ثلاثة آلاف قتيل منهم ألفان وثلاثماية قتيل من جيش موسى بينهم ابنه منهل[2] والباقي من جيش الحسن، ومع ذلك لم يستطع الحسن أن يحسم المعركة لصالحه إذا كان النصر في النهاية لموسى[3] فاضطر الحسن إلى العودة مسرعاً إلى فاس لضرورات أمنية اقتضاها الموقف الناجم عن المعركة[4] ودخل المدينة وأبقى جيشه خارج الأسوار[5] فغدر به عامله حامد[6] إذ أغلق أبواب عدوة القرويين أمام الجيش واعتقل الأمير الحسن واودعه السجن واتصل بموسى بن أبي العافية يدعوه لدخول المدينة[7].

كان موسى ينتظر هذا الأمر بفارغ الصبر ليثأر من الحسن لولده القتيل منهل وقد سنحت له الفرصة المناسبة، فأسرع بجيشه نحو مدينة فاس فأدخله حامد عدوة القرويين وفيها الأمير الحسن مسجون[8] ولكن عدوة الأندلسيين امتنعت عليه وبقيت موالية للإدارسة[9] فهاجمها ودخلها عنوة. كان موسى متعطشاً للدماء يريد أن يروي غليله من دماء الإدارسة وخاصة الحسن، فلما ملك المدينة طلب من حامد أن يسلمه الحسن وقال له:

---

(١) روض القرطاس ص ٨٢ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٤ ـ ويسميه حمض إذا ماد.

(٢) ابن خلدون ٤/ ١٦ ـ اعمال الاعلام ص ٢١٢ ولم يذكر العدد ـ الدولة الفاطمية ص ٨٨.

(٣) الاستقصا ١/ ١٨٥ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٤.

(٤) اعمال الاعلام ص ٢١٢.

(٥) البكري ١٢٧.

(٦) البيان المغرب ١/ ٢١٣ ـ ابن خلدون ٤/ ١٦ و ٦/ ١٣٤.

(٧) روض القرطاس ص ٨٣ ـ ابن خلدون ٤/ ١٦.

(٨) روض القرطاس ص ٨٣.

(٩) H. p 32.

«مكني من الحسن الحجام أقتله بولدي منهل»[1].

أمام هذا الموقف الجديد ندم حامد على عمله مع الحسن، إذ خسر حكم مدينة فاس التي كان والياً عليها من قبل الحسن، فقد انتزعها منه موسى، وها هو يتدخل بشؤونه الخاصة ويلح عليه بتسليم الحسن ليقتله، فكره أن تكون له يد في قتل أحفاد الرسول محمد ﷺ في المغرب[2]. فلجأ إلى التسويف والمماطلة حتى يتدبر الأمر ويسهل للحسن مخرجاً ينجو من قبضة موسى. وذات ليلة اغتنم حامد الظلام وأطلق سراح الحسن، أسرع الأمير إلى السور ورمى بنفسه عنه دون حبل فسقط أرضاً وانكسرت رجله فتجلد حتى دخل عدوة الأندلسيين واختفى فيها إلى أن وافته المنية بعد ثلاثة أيام من الحادث سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٦م[3] وفر حامد إلى مدينة المهدية عاصمة الفاطميين[4].

كان الحسن الحجام آخر الإدارسة الذين حكموا مدينة فاس وبموته زالت دولتهم من مدينتهم التي أسسها جدهم الإمام الإدريس الثاني، إذ لم يعودوا إليها نهائياً بعد أن دام حكمهم لها منذ تأسيسها حتى سقوطها بيد ابن أبي العافية مدة مئة وعشرين سنة تقريباً ١٩٢ ـ ٣١٣هـ/ .

سيطر موسى على مدينة فاس[5] وملك معها كثيراً من نواحي المغرب الأقصى[6]، وبما أنه بربري فقد أيدته قبائل البربر وساعدته ومنحته القوة بعد أن أثبت وجوده العسكري. ورغم ما وصل إليه فقد بقي متمسكاً بدعوة

---

(١) روض القرطاس ص ٨٣.

(٢) روض القرطاس ص ٨٣ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٤.

(٣) البكري ص ١٢٧ ـ البيان المغرب ١/ ٢١٣ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٤ ـ H. p 32.

(٤) ابن خلدون ٤/ ١٦.

(٥) H. p 32.

(٦) ابن خلدون ٦/ ١٣٥.

الفاطميين في افريقية ويعمل باسمهم[1].

بعد أن شعر بقوته قرر موسى إجلاء الإدارسة عن المغرب الأقصى فاستولى على ما تبقى من مدن بأيديهم مثل شالة وأصيلا[2]، فساروا إلى البصرة واجتمعوا إلى كبيرهم إبراهيم بن محمد بن القاسم أخ الحسن وولوه عليهم[3] ثم رحلوا إلى قلعة حجر النسر وتحصنوا بها[4].

كانت قلعة حجر النسر حصناً منيعاً في الجبال قرب تطوان بناه الأمير محمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس سنة ٣١٧هـ/ ٩٣٠م[5] وأراده حصناً يلجأ إليه الإدارسة أيام المحن فكأنه أعد لمثل هذا اليوم. ولكن موسى كان مصمماً على استئصالهم من المغرب إذ أعماه الحقد عليهم بعد مقتل ولده. فبعد أن آنس من نفسه القوة كان يشعر أن بقاءهم يشكل خطراً على طموحه، ورأى الفرصة سانحة لتحقيق أغراضه إذ اعتقد أنه بالقضاء عليهم يصفو له حكم المغرب دون منازع لذلك جد في طلبهم وشدد الحصار عليهم في قلعة حجر النسر.

أمام هذا الواقع الأليم الذي وصل إليه الإدارسة وقف سكان المغرب الأقصى للمرة الثانية بوجه موسى ومنعوه من تحقيق مآربه[6]. فسكان المغرب الذين اعتبروا وجود الإدارسة منة من الله لم يرضوا بعمل موسى هذا فعارضوه بشدة ولاموه على صنيعه هذا وقالوا له: «أتريد أن تقطع دابر

---

(١) الدولة الفاطمية ص ٨٨.

(٢) روض القرطاس ص ٨٤ ـ أعمال الإعلام ص ٢١٣ ـ ابن خلدون ٤/ ١٦. ويذكر: واستولى على جميع المغرب.

(٣) ابن خلدون ٤/ ١٦ و ٦/ ١٣٥.

(٤) البكري ص ١٢٧ ـ H. p 33.

(٥) البكري ص ١٢٧ ـ ابن خلدون ٤/ ١٦.

(٦) إسلامية ص ٣٢٢.

أهل البيت من المغرب وتقتلهم أجمعين وأنت رجل من البربر! هذا شيء لا نوافقك عليه ولا نتركك له»[1].

أمام هذا الموقف الحازم الذي وقفه رؤساء البربر بوجه موسى تراجع عن عمله، ولكنه لم يتخل عن موقفه الهادف إلى القضاء على الإدارسة في المغرب فرحل إلى فاس وترك قائده أبا الفتح التسولي ومعه ألف فارس لحصارهم[2] واستقر في عاصمته آمناً إذ لا خوف على حكمه من الإدارسة المحاصرين في قلعة حجر النسر. وخطا موسى خطوة ثانية في سبيل تدعيم حكمه إذ أقدم على تنظيم بلاده إدارياً لتكون خالصة الولاء له، فعين على عدوة الأندلسيين طوال بن أبي يزيد الذي بقي والياً عليها طيلة خضوع فاس لموسى[3] وعين على المغرب الأقصى ولده مدين، واستقر هو في عدوة القرويين واتخذها مركزاً له[4].

بعد أن نظم شؤون المغرب الأقصى، عاود موسى تنفيذ مخططه ضد الإدارسة وكانت وجهته هذه المرة مدينة تلمسان[5] المحاذية للمغرب الأوسط. كان يحكم هذه المدينة الحسن بن أبي العيش بن عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله شقيق الإمام إدريس الأول[6]. تغلب موسى على مدينة تلمسان سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م فغادرها الحسن إلى مدينة مليلة الواقعة في وادي ملوية وتحصن بها. تابع موسى زحفه واستولى

(١) البكري ص ١٢٨ ـ البيان المغرب ١/ ٢١٤.
(٢) الاستقصا ١/ ١٨٧ ـ البكري ص ١٢٧ ويسميه أبو قمح ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٥.
(٣) روض القرطاس ص ٨٤ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٥.
(٤) الاستقصا ١/ ١٨٧.
(٥) H. p 33.
(٦) روض القرطاس ص ٨٤ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٥ ـ الاستقصا ١/ ١٨٧ ـ اعمال الاعلام ٢١٣.

على مدينة نكور في شعبان ٣٢٠هـ/ آب ٩٣٢م[١] وتفرغ بعد ذلك لحصار الحسن في مليلة، ثم عقد معه صلحاً وأبقاه في حصنه.

بعد هذه الحملة العسكرية على المغرب الأوسط التي تكللت بالنجاح وذلك بالاستيلاء على تلمسان ونواحيها عاد إلى العاصمة فاس واستقر بها بعد أن دان لحكمه المغربان الأقصى والأوسط[٢].

كل هذه الانتصارات على الإدارسة تمت لابن أبـي العافية وهو عامل للفاطميين، الذين سكتوا على ذلك. والمصادر التاريخية لم تشر إلى موقف فاطمي معارض لتصرفات موسى تجاه الإدارسة فقد تغاضوا عن أعماله العسكرية فهو عاملهم على المغرب ولم ينحرف عن دعوتهم بل ظل وفياً لهم، ثم إنه نسيب قائدهم المخلص مصالة بن حبوس، هذا القائد الذي فتح لهم المغرب وأقام به الدعوة الشيعية، بالإضافة إلى ذلك فهو بربري ولا بد لهم من الاستعانة بزعيم بربري قوي ليكسبوا البربر إلى جانبهم وهو كذلك لا يستطيع أن يطلب الخلافة لنفسه لأن «الأئمة من قريش»، والإدارسة هم الوحيدون في افريقية والمغرب الذين يهددون سلطة الفاطميين الروحية، إذ أنهم أحفاد الرسول ﷺ مثلهم، ولهم مكانة في نفوس البربر الذين وقفوا في وجه موسى عندما حاول القضاء عليهم، فالمستفيد الأول من أعمال موس في المغرب هم الفاطميون الذي باتوا بعد القضاء على فتنة الزناتي لا يخشون أحداً في المغرب على خلافتهم إلا من كان من قريش. فكيف بالإدارسة وهم طالبيون مثلهم؟

لهذه العوامل مجتمعة سكت الفاطميون عن حرب موسى للإدارسة.

---

(١) روض القرطاس ص ٨٤، ونكور مدينة قديمة أسسها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الحميري حوالي سنة ١٤٣هـ.

(٢) ابن خلدون ٦/ ١٣٥.

الفصـــل الثالـــث

التدخل الأموي في شؤون المغرب الأقصى

بعد أن استقرت الأمور في المغرب الأقصى لموسى بن أبـي العافية وأنس من نفسه قوة فكر بالاستقلال عن الدولة الفاطمية التي كان لها الفضل في ما وصل إليه من نفوذ، وكان الفاطميون يعتبرون أن امتداد نفوذه هو بالتالي امتداد لسيادتهم ولكن موسى كان يفكر بأمور أخرى، إذ ربما شعر بأن الدولة الفاطمية تشكل عبئاً ثقيلاً عليه وتمنعه من أن يكون مستقلاً لا يشاركه في الحكم أحد. ولكنه لا يستطيع أن يثور عليها دون مساعدة خارجية، إذ لا يستطيع أي حاكم أن يتصرف على هواه دون الانضواء تحت سيادة خلافة إسلامية. لذلك رأى من مصلحته الاتصال بالخلافة الأموية في الأندلس ومبايعة عبد الرحمن الناصر الأموي[1]. ولا تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن كيفية الاتصال مع الأمويين، ففي سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م خلع موسى طاعة الفاطميين وأعلن الولاء للأمويين في الأندلس[2] فألغى الخطبة لعبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي وأعلنها لعبد الرحمن الأموي وخطب له على منابر المغرب في إمارته[3].

أمام هذا الانقلاب الخطر الذي قام به موسى بن أبـي العافية رأى

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله تلقب بالناصر بعد أن أعلن نفسه خليفة سنة ٣١٧هـ.

(٢) ابن خلدون ٤/ ٤٠.

(٣) روض القرطاس ص ٨٢ ـ اعمال الاعلام ص ٢١٥ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٥ ـ الدولة الفاطمية ص ٨٩.

الخليفة عبيد الله المهدي الفاطمي أن يبعث بحملة إلى المغرب الأقصى ليقضي على تمرد موسى ويعيده إلى السيادة الفاطمية. قاد الحملة الفاطمية سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م حميد بن يصلتين الكتامي[١] وكان عددها عشرة آلاف جندي ومعه حامد بن حمدان الهمداني[٢] الذي كان قد فرّ من فاس بعد دخول موسى إليها. والتقى الجيشان بفحص مسون[٣] ونشب القتال بين الفريقين انهزم فيه موسى بن أبي العافية الذي هرب إلى بلاد تسول[٤] وتحصن في عين إسحاق[٥]. ثم تابع حميد تقدمه نحو مدينة فاس ففر منها مدين بن موسى ودخلها حميد وأعاد إليها واليها حامد بن حمدان سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م ثم قفل راجعاً إلى افريقية[٦].

كانت لحملة حميد وهزيمة موسى نتائج مهمة بالنسبة للإدارسة المحصورين في قلعة حجر النسر، إذ خرجوا من القلعة وهزموا قائد موسى أبا الفتح واستولوا على معسكره[٧] وأخذوا يعدون العدة لاستعادة ما تبقى من المغرب بيد موسى متحالفين مع أنسبائهم الفاطميين.

أصيبت دولة موسى بهزيمة إمام الفاطميين وهي بالتالي هزيمة للأمويين في الأندلس حلفاء موسى. ولكن دولته لم تنته من الوجود إذ استمر انصاره بمقاومة الفاطميين، فبعد رحيل القائد حميد إلى افريقية دفع

---

(١) روض القرطاس ص ٨٥ ـ البكري ص ١٢٨ ويسميه حميد بن يصلي ويذكر السنة ٣٢١هـ. اعمال الاعلام ص ٢١٥ ويسميه حميد بن تيسيل. ابن خلدون ٦/ ١٣٥ ويسميه ابن يصلت.

(٢) روض القرطاس ص ٨٥ ـ البكري ص ١٢٨.

(٣) روض القرطاس ص ٨٥ ـ وفحص مسون مكان بين أكرسيف وقصبة مسون الواقعة على طريق تازا ـ روض القرطاس ص ٨٥ حاشية رقم ٦١ ـ اعمال الاعلام ص ٢٢٥.

(٤) ابن خلدون ٦/ ١٣٥ ـ الدولة الفاطمية ص ٨٩ ـ H. p 34.

(٥) روض القرطاس ص ٨٥ ـ اعمال الاعلام ص ٢١٥.

(٦) روض القرطاس ص ٨٥ ـ البكري ص ١٢٨ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٥.

(٧) اعمال الاعلام ص ٢١٦ ـ البكري ص ١٢٨ ـ H. p 34.

موسى بأحد أنصاره أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن أبي سهل إلى الثورة[1] على حامد عامل فاس الفاطمي فقتله وبعث برأسه ورأس ولده إلى موسى الذي أرسلهما إلى مولاه الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر بقرطبة[2] مع ابن الزراد[3]، وعين موسى على فاس الثائر أحمد بن أبي بكر الذي بقي فيها إلى سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م إلى أن قدم إلى المغرب ميسور الفتى قائد الخليفة الفاطمي أبي القاسم ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م. حاصر ميسور مدينة فاس عدة أيام فخرج إليه واليها أحمد بن أبي بكر مبايعاً[4] وقدم له الهدايا والأموال. قبض ميسور ما قدمه إليه ثم اعتقله وأرسله إلى المهدية[5]. أمام هذا العمل أغلق سكان مدينة فاس أبواب مدينتهم بوجه ميسور الفتى وتحصنوا بداخلها ولم يمكنوه من دخولها وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي[6]. حاصر ميسور المدينة سبعة أشهر ولم يستطع دخولها[7]. عندئذ صالح أهلها على مبلغ ستة آلاف دينار وإقطاع ولبود وقرب للماء وأثاث. وأهم من كل ذلك أنهم كتبوا بيعتهم للخليفة الفاطمي أبي القاسم[8]، وزادوا في ذلك بأن كتبوا اسمه على سكتهم وأعادوا الخطبة له. هذه الأمور جعلت القائد ميسور يرضى عنهم ويرفع الحصار عن المدينة[9].

---

(١) روض القرطاس ص ٨٥ ـ البكري ص ١٢٨.

(٢) روض القرطاس ص ٨٥ ـ البكري ص ١٢٨ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٥.

(٣) البكري ص ١٢٨.

(٤) روض القرطاس ص ٨٥ ـ البكري ص ١٢٨ ـ العروي ص ١٣٦ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٥.

(٥) روض القرطاس ص ٨٥.

(٦) روض القرطاس ص ٨٥ ـ البكري ص ١٢٨.

(٧) روض القرطاس ص ٨٥ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٥.

(٨) روض القرطاس ص ٨٦ ـ البكري ص ١٢٨.

(٩) روض القرطاس ص ٨٦ ـ ابن خلدون ٦/ ١٣٥ ويذكر «وتقبلوا الطاعة والإتاوة».

بعد أن اطمأن إلى وضع فاس تابع سيره لقتال موسى بن أبي العافية المتمرد ودارت بين الجيشين حرب قاسية هُزم فيها موسى وأُسر ولده الغوري[١]، وقاد معظمها الإدارسة[٢] الذين وجدوا الفرصة سانحة للانتقام منه بمباركة الدولة الفاطمية. لقد قاتله الإدارسة بشراسة ثأراً لما فعل بهم فانهزم أمامهم ولجأ إلى الصحراء[٣]. واستعاد الإدارسة أكثر ما كان قد استولى عليه منهم، وأعلنوا الدعوة لنسيبهم الخليفة أبي القاسم الفاطمي[٤].

وبقي موسى مشرداً في الصحراء التي بقيت بيده من كرسيف إلى نكور حتى قتل ببلاد ملوية سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م[٥].

بعد فرار موسى من فاس أمام ميسور الفاطمي عاد حكم المغرب إلى الأدارسة وتولى الأمر منهم كنون بن محمد بن القاسم بن إدريس وبايعوه إماماً ورئيساً[٦]، وقد استولى على بلاد المغرب الأقصى ما عدا مدينة فاس التي عاد إلى حكمها أحمد بن أبي بكر سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٣م[٧] واتخذ كنون عاصمته مدينة حجر النسر وبقي في الإمارة إلى أن توفي سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٩م وخلفه ابنه أبو العيش أحمد[٨] الذي كان يتمتع بصفات التدين والعلم والحلم والشجاعة والكرم[٩]. والغريب في أبي العيش أحمد

---

(١) ابن خلدون ٦/ ١٣٥.
(٢) روض القرطاس ص ٨٦ ـ البكري ص ١٢٨.
(٣) اعمال الإعلام ص ٢١٦ ـ H. p 34.
(٤) روض القرطاس ص ٨٦.
(٥) روض القرطاس ص ٨٦.
(٦) روض القرطاس ص ٨٦ ـ البكري ص ١٢٩ ـ اعمال الإعلام ص ٢١٨ ويسميه قنون.
(٧) روض القرطاس ص ٨٦.
(٨) H. p 39.
(٩) البكري ص ١٢٩ ـ اعمال الاعلام ص ٢١٨.

أنه أول إدريسي هاشمي يبايع الأمويين في الأندلس، إذ ربما وجد الفرصة سانحة للتخلص من النفوذ الفاطمي كما فعل قبله ابن أبـي العافية خاصة وأن مدينة فاس بقيت خارج نفوذه إذ أن الفاطميين عينوا والياً عليها من قبلهم، ثم إن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لم يطلب منه شيئاً في البداية، حسب تفكيره فأول عمل أقدم عليه أبو العيش أحمد بعد توليه الحكم أنه قطع الخطبة للفاطميين وحولها لعبد الرحمن الناصر الأموي(١).

ولكن تخطيطه لم ينجح، إذ أن الناصر الأموي لم يقبل البيعة من أبـي العيش إلا بشروط وهي أن يتنازل للناصر عن سبتة وطنجة(٢) إذ تكون بمثابة رهينة حتى لا يتجرأ أبو العيش على خلع طاعته متى يشاء خاصة وأنه هاشمي والعداوة تاريخية بين الأسرتين. رفض أبو العيش طلب الناصر، ولكنه بعمله هذا كشف سياسته للأمويين الذين لم يتقبلوا منه البيعة والولاء إلا بعد أخذ جزء من مملكته، وكذلك أثار غضب أنسبائه الفاطميين الذين فقدوا الثقة به. ولكن الناصر سارع فأرسل جيشاً لقتال أبـي العيش(٣) الذي أذعن للأمر وتنازل له عن سبتة وطنجة(٤)، وأقام بعد ذلك مع إخوته وأبناء عمه بمدينة البصرة وأصيلا تحت السيادة الأموية(٥)، وأخذ الناصر بعد أن تم له ذلك بإرسال الجيوش من الأندلس لإخضاع المغرب الأقصى لحكمه حتى امتلك من مدينة تاهرت إلى طنجة ما عدا مدينة سجلماسة التي بقيت خارج حكمه(٦)، وقد بايعته مدينة فاس فولى عليها محمد بن الخير الزناتي(٧).

---

(١) روض القرطاس ص ٨٨ ـ البكري ص ١٣٠ ـ اعمال الاعلام ص ٢١٨ ـ H. p 39.

(٢) روض القرطاس ص ٨٨ ـ H. p 39.

(٣) روض القرطاس ص ٨٨ ـ اعمال الاعلام ص ٢١٩.

(٤) اعمال الاعلام ص ٢١٩ ـ H. p 39.

(٥) روض القرطاس ص ٨٨. H. p 40.

(٦) روض القرطاس ص ٨٨.

(٧) روض القرطاس ص ٨٨.

ومن مآثره أنه بنى الصومعة المباركة بجامع القرويين سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٧[١]. ثم ولى الناصر على طنجة وأحوازها يعلى بن محمد اليفرني[٢]. وبهذه الأعمال فقد أبو العيش أحمد الإدريسي أكثر أجزاء مملكته وهو الذي كان يعتقد أنه بدخوله في طاعة الناصر الأموي يتخلص من سلطة الفاطميين، فإذا به بعمله هذا يفقد كل شيء. أمام هذا الواقع رأى أبو العيش أن يبتعد عن العدوة المغربية وأن ينهي حياته بعمل يخلده فاستشار القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى قاضي الجماعة سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٤ بدخول الأندلس برسم الجهاد فأفتى له بذلك[٣] فكتب إلى الناصر يستأذنه بالدخول إلى الأندلس برسم الجهاد ضد الإسبان[٤]، فأذن له الناصر وأمر العمال باستقباله بالحفاوة حتى وصل إلى الثغر[٥]. ولما رحل أبو العيش إلى الأندلس برسم الجهاد استخلف على ما تبقى من المغرب تحت سلطته أخاه الحسن بن كنون[٦]، ومات أبو العيش مجاهداً في الأندلس سنة ٣٤٣هـ/ ٩٥٦م. والحسن بن كنون هو آخر الأدارسة في المغرب، بقي على ولائه للأمويين مبايعاً لهم[٧].

استاء الفاطميون من التحالف الجديد بين الأدارسة والأمويين فقرر الخليفة معد بن إسماعيل الفاطمي[٨] استعادة المغرب الأقصى مهما كلفه

---

(١) روض القرطاس ص ٨٨.

(٢) روض القرطاس ص ٨٩.

(٣) البكري ص ١٣٠.

(٤) البكري ص ١٣٠ ـ روض القرطاس ص ٨٩ ـ اعمال الاعلام ص ٢١٩.

(٥) روض القرطاس ص ٨٩: وقد أمر الناصر أن يُبنى له في كل منزل قصر ينزل فيه في الجزيرة الخضراء إلى الثغر وأن يجري له ألف دينار كل يوم ضيافة».

(٦) روض القرطاس ص ٨٩ ـ اعمال الاعلام ص ٢١٩.

(٧) روض القرطاس ص ٨٩.

(٨) اعمال الاعلام ص ٢٢٠.

ذلك، فأمر بتجهيز جيش تعداده عشرين ألف فارس[١] من قبائل كتامة وصنهاجة وغيرها. . . وعين عليه قائده جوهر الرومي[٢] وأمره بأن يعيد المغرب إلى السيادة الفاطمية. خرج جوهر من القيروان نحو المغرب الأقصى سنة ٣٤٧هـ/٩٥٩م وبلغ خبر خروجه والي طنجة من قبل الخليفة الأموي الناصر يعلى بن محمد اليفرني الذي استعد للقاء الجيش الفاطمي الزاحف، فحشد بني يفرن وزناتة ومن والى الأمويين في العدوة المغربية، والتقى الجيشان قرب مدينة تاهرت حيث دارت معركة قاسية لجأ فيها جوهر إلى بث الحماس في نفوس جنوده وأغدق الأموال على قادة كتامة[٣] الذين أخذوا على عاتقهم قتل يعلى اليفرني، واندفع جماعة منهم نحوه فقتلوه وأخذوا رأسه وأتوا به إلى جوهر الذي كافأهم على عملهم هذا. وتفرق بنو يفرن بعد مقتل أميرهم ولاذوا بالفرار[٤]. وتابع جوهر تقدمه نحو مدينة سجلماسة واستولى عليها وأسر أميرها محمد بن الفتح الخارجي[٥] ثم زحف نحو مدينة فاس وعليها أميرها من قبل الأمويين أحمد بن أبي بكر الزناتي ودخلها جوهر عنوة وأعمل فيها السبي والنهب وقتل عدداً من سكانها واعتقل أميرها الزناتي أحمد بن أبي بكر وكان ذلك قبل ظهر الخميس ٢٠ رمضان ٣٤٩هـ/١٣ تشرين الثاني ٩٦٠م. وتابع جوهر زحفه في المغرب يقضي على معاقل الأمويين ويأخذ البيعة للفاطميين حتى عادت الخطبة على منابر المغرب الأقصى لهم[٦]، وقفل عائداً بعد ذلك إلى المهدية يحمل معه أسرى مدينة فاس ومنهم واليها

---

(١) روض القرطاس ص ٨٩.

(٢) روض القرطاس ص ٨٩ ـ اعمال الاعلام ص ٢٢٠.

(٣) روض القرطاس ص ٨٩.

(٤) روض القرطاس ص ٩٠.

(٥) اعمال الاعلام ص ٢٢٠.

(٦) روض القرطاس ص ٩٠ ـ اعمال الاعلام ص ٢٢٠ ويذكر: وقفل إلى سلطانه معد بعد أن عاث في تدويخ المغرب وفتحه وقتل المروانية فيه. . .».

أحمد بن أبي بكر فسجنوا فيها حتى ماتوا[1].

كان الحسن بن كنون الإدريسي قد بايع الفاطميين أثناء حملة جوهر[2]. فلما عاد جوهر إلى افريقيا نكث الحسن بالبيعة التي أعطاها للفاطميين[3] وانحرف إلى دعوة الأمويين لا محبة بهم بل خوفاً منهم لقرب بلادهم من إمارته[4] وبقي على ولائه لهم حتى قدوم بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي.

يتبين من هذا العمل أن الأدارسة كانوا يتطلعون إلى مصالحهم في الحكم عندما كانوا ينقلون البيعة من خلافة إلى أخرى، فالحكم لا يتأثر بالدين بل بالمصالح الخاصة.

أمام هذا التحول الجديد من قبل الحسن نحو الأمويين زحف قائد الفاطميين بلكين على المغرب ليثأر لوالده الذي قتله الزناتيون[5] فانتقم منهم أشد انتقام، إذ قتل منهم أعداداً كثيرة[6] واستعاد ملك المغرب[7]، وسارع السكان إلى تأييده ومبايعة الخليفة الفاطمي معد بن إسماعيل، شأن كل منتصر قوي، وكان من الذين أظهروا العداء للأمويين وقدم المساعدة لبلكين الحسن بن كنون إذ أسفر عن وجهه فقطع الدعوة للأمويين[8] وأعلنها للفاطميين وعمل جهده في سبيل ذلك[9].

---

(١) روض القرطاس ص ٩٠ ـ اعمال الاعلام ص ٢٢٠.
(٢) روض القرطاس ص ٩٠ ـ الاستقصا ١/ ٢٠٠.
(٣) روض القرطاس ص ٩٠ ـ الاستقصا ١/ ٢٠٠.
(٤) روض القرطاس ص ٩٠ ـ الاستقصا ٢٠٠.
(٥)
(٦) روض القرطاس ص ٩١ ـ اعمال الاعلام ص ٢٢١ ويذكر استأصل فيها ملوك زناتة.
(٧) روض القرطاس ص ٩١.
(٨) اعمال الاعلام ص ٢٢١.
(٩) روض القرطاس ص ٩١.

وصلت أخبار الحسن إلى الحكم المستنصر[1] الخليفة الأموي الذي خلف والده الناصر، فحقد على الحسن وأخذ يتحين الفرصة للانتقام منه. ولما عاد بلكين إلى المهدية أرسل الحكم جيشاً بقيادة محمد بن القاسم لقتال الحسن[2]. عبر الجيش الأموي المضيق إلى العدوة في ربيع الأول ٣٦٢هـ/ كانون الأول ٩٧٢م، والتقى الفريقان في أحواز طنجة بفحص بني مصرح، ونشب قتال عنيف أسفر عن مقتل قائد الجيش الأموي محمد بن القاسم مع عدد كبير من جنوده ولاذ الباقون بالفرار إلى مدينة سبتة وتحصنوا فيها وكتبوا إلى الحكم يطلبون النجدة[3]. أمام هذه الهزيمة التي لحقت بجيشه استدعى الحكم قائده الشجاع غالب من الثغر الشمالي كان حازماً يتصف بالدهاء والجرأة[4]، وزوده بالمال والرجال وأمره بقتال الأدارسة في معاقلهم وخاطبه مودعاً: (يا غالب سر مسير من لا إذن له في الرجوع إلا حياً منصوراً أو ميتاً معذوراً ولا تشح بالأموال وأبسط يدك يتبعك الناس)[5]. وحبذا لو خاطبه في قتال الإسبان!.

خرج الجيش الأموي بعدته وعديده من قرطبة آخر شوال ٣٦٢هـ/ آب ٩٧٣م[6] ووجهته العدوة المغربية يريد الحسن بن كنون. وصل الخبر إلى الحسن الذي تخوف من الأمر وأعد له العدة، فأخلى مدينة البصرة وحمل عائلته وأمواله وذخائره إلى قلعة حجر النسر الحصينة واتخذها معقلاً يتحصن فيه[7]. وجاز الجيش الأموي من الجزيرة الخضراء إلى مصر

(١) الحكم المستنصر هو ابن عبد الرحمن الناصر حكم الأندلس من ٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ.
(٢) روض القرطاس ص ٩١ ـ اعمال الاعلام ص ٢٢١.
(٣) روض القرطاس ص ٩١ ـ اعمال الاعلام ص ٢٢١.
(٤) روض القرطاس ص ٩٢ ـ اعمال الاعلام ٢٢١ ـ العروي ١٤٠ ـ H. p 46.
(٥) روض القرطاس ص ٩٢.
(٦) اعمال الاعلام ص ٢٢١.
(٧) روض القرطاس ص ٩٢ ـ العروي ص ١٤٠.

مصمودة تصدى له الحسن ونشب القتال عدة أيام بين الفريقين[١]، وهنا لجأ غالب إلى الحيلة فاتصل بزعماء البربر الذين مع الحسن ورشاهم بالأموال ووعدهم بالأمان إن تخلوا عن الحسن[٢]. وكان لغالب ما أراد، فقد انصرف البربر عن الحسن وأسلموه لعدوه وفروا من جيشه حتى لم يبق معه إلا خاصته ورجاله[٣]. عندئذٍ اضطر إلى اللجوء إلى الحصن الذي أعده لمثل هذا اليوم إلى حصن حجر النسر حيث عائلته وتحصن فيه. وتبعه غالب إلى هناك ونزل بجيشه على الحصن وشدد الحصار وقطع عنه الموارد. ولم يكتف الحكم بذلك بل أمد غالب بجيش من عرب الأندلس ومن الثغور[٤]. وصلت هذه الإمدادات إلى غالب وهو يحاصر الحصن في غرة محرم ٣٦٣هـ/ ٢ تشرين الأول ٩٧٣م فتشدد في الحصار على الحسن ومنع عنه الإمدادات، فانقطعت سبل النجاة أمامه[٥].

أمام هذا الحصار الشديد اضطر الحسن إلى طلب الأمان من غالب على نفسه وماله وأهله ورجاله ويتخلى عن بلاد المغرب ويرحل معه إلى قرطبة ويقيم فيها[٦]. أجابه غالب إلى طلبه وعاهد عليه[٧]. وفتح الحسن أبواب الحصن أمام غالب ونزل منه فتسلمه[٨]. واستنزل غالب الأدارسة العلويين جميعهم من معاقلهم وأخرجهم من ديارهم ولم يترك أحداً منهم بالمغرب[٩].

---

(١) روض القرطاس ص ٩٢.
(٢) الاستقصا ١/ ٢٠١.
(٣) روض القرطاس ص ٩٢ ـ الاستقصا ١/ ٢٠١.
(٤) روض القرطاس ص ٩٢.
(٥) روض القرطاس ـ الاستقصا ١/ ٢٠١.
(٦) اعمال الإعلام ص ٢٢٢.
(٧) لعمال الإعلام ص ٢٢٢ ـ روض القرطاس ص ٩٢.
(٨) روض القرطاس ص ٩٢ ـ الاستقصا ١/ ٢٠١.
(٩) روض القرطاس ص ٩٢ ـ اعمال الاعلام ص ٢٢٢ ـ الاستقصا ١/ ٢٠١.

وهكذا تم إجلاء الأدارسة فأخرجوا من وطنهم لأول مرة منذ أن حطت فيه قدم جدهم الإمام إدريس الأول سنة ١٧٢هـ. وبعد أن أكمل غالب حملته استولى على فاس، عاد إلى الأندلس ومعه الحسن بن كنون وبقية الأدارسة[١]، وكتب إلى الحكم يعلمه بقدومه، أمر الخليفة الأندلسيين بالخروج للقائهم وكان هو أول المستقبلين لهم مع وجوه دولته[٢]. وكان دخولهم إلى قرطبة أول محرم ٣٦٤هـ/ الاثنين ٢١ أيلول ٩٧٤م. استقبل الحكم الحسن بن كنون بالترحاب وعفا عنه ووفى له بالعهد[٣] وأجزل له العطاء ولرجاله وكانوا سبعمائة[٤]. نزل الحسن بمدينة قرطبة إلى سنة ٣٦٥هـ/ مطمئناً. إلا أن الحكم تغيرت نفسه عليه، فأخذ يتحين الفرص للتخلص منه ومن نفقاته الكثيرة، فتعلل الحكم بحجة واهية وذلك أنه كان لدى الحسن قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الحجم تسمى المسورة[٥] جعل منها الحسن منشورة يتوسدها[٦]. علم الحكم بالقطعة النادرة فطلبها من الحسن ليضمها إلى ذخائره[٧]. رفض الحسن الطلب فكان وبالاً عليه إذ نكبه الخليفة المضيف وسلبه أمواله مع قطعة العنبر[٨]، ثم أمر بإجلائه مع أهله إلى المشرق ليتخلص منهم، وكان أنسباؤه الأمويون يحرضونه على ذلك[٩] فنقلتهم السفن من المرية إلى تونس سنة ٣٦٥هـ/ [١٠] وتابع الحسن

---

(١) روض القرطاس ص ٩٢ ـ H. p 46.

(٢) روض القرطاس ص ٩٣ ـ الاستقصا ١/ ٢٠٢.

(٣) روض القرطاس ص ٩٣ ـ اعمال الاعلام ص ٢٢٢ ـ الاستقصا ١/ ٢٠٢.

(٤) روض القرطاس ص ٩٣ ويذكر: ويعدون سبعة آلاف ـ اعمال الاعلام ص ٢٢٢.

(٥) اعمال الاعلام ص ٢٢٢.

(٦) روض القرطاس ص ٩٣.

(٧) الاستقصا ١/٢٠٢.

(٨) اعمال الاعلام ص ٢٢٢.

(٩) الاستقصا ١/٢٠٢.

(١٠) روض القرطاس ص ٩٣ ـ اعمال الاعلام ص ٢٢٣.

مسيره إلى مصر(١) حيث أبناء عمومته الفاطميين. ونزل ضيفاً على الخليفة نزار بن معد(٢).

استقبل الخليفة الفاطمي أنسباءه الأدارسة بالترحاب وزاد في إكرامهم لصلة النسب ووعدهم بالمساعدة لاستعادة ملكهم(٣)، أقام الحسن بضيافة الخليفة نزار إلى سنة ٣٧٣هـ/ ٩٥٨م(٤) حيث ولاه المغرب وكتب له عهداً بذلك(٥)، وأمر عامله على افريقيا بلكين بن زيري بن مناد(٦) أن يمده بالجيوش لتحقيق أغراضه. وهكذا وجد الخليفة الفاطمي الفرصة مناسبة لضرب النفوذ الأموي في المغرب وإعادة أنسبائه الأدارسة إلى إمارتهم التي سلبهم إياها الأمويون. سار الحسن إلى افريقيا حيث أمده الوالي بلكين بثلاثة آلاف جندي(٧) وانضم إليه يدو بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرني وأيده في طلبه(٨)، واقتحم بهذا الجيش بلاد المغرب(٩)، فأسرعت إليه قبائل البربر مؤيدة مبايعة(١٠) وأظهر دعوته. وصلت أخبار انتصار الحسن إلى مسامع محمد بن أبي عامر حاجب الخليفة الأموي في قرطبة هشام المؤيد بن الحكم المستنصر. وساءه خروج المغرب من يده وعودته إلى الأدارسة العلويين، فجهز جيشاً بقيادة نسيبه الوزير عمر بن عبد الله بن

---

(١) روض القرطاس ص ٩٣ ـ H. p 46.

(٢) نزال بن معد.

(٣) الاستقصا ١/ ٢٠٢.

(٤) روض القرطاس ص ٩٣.

(٥) اعمال الاعلام ص ٢٢٣.

(٦) روض القرطاس ص ٩٣.

(٧) الاستقصا ١/ ٢٠٣ ـ روض القرطاس.

(٨) الاستقصا ١/ ٢٠٨ ـ H. p 49.

(٩) روض القرطاس ص ٩٣.

(١٠) اعمال الاعلام ص ٢٢٣ ـ الاستقصا ١/ ٢٠٣.

أبي عامر وولاه المغرب[١] وأمره بقتال الحسن بن كنون الإدريسي. جاز الوزير المضيق إلى سبتة وضرب الحصار على الحسن عدة أيام[٢]، ولكن محمد بن أبي عامر لم يكتف بالجيش الذي يقوده الوزير بل سير إلى المغرب جيشاً آخر بقيادة ابنه عبد الملك[٣].

أمام هذه الجيوش الجرارة لم يستطع الحسن المقاومة، ورأى من الأفضل له أن يطلب الأمان من الوزير العامري على نفسه وأن يترك المغرب ويرحل إلى الأندلس كحاله السابق[٤]. استجاب الوزير لطلب الحسن وأعطاه الأمان، وكتب بذلك إلى الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر الذي أمر بأن يرسله إلى قرطبة على وجه السرعة[٥]. وكان المنصور يضمر الشر للحسن ورأى الفرصة سانحة للتخلص من الحسن وبقية الأدارسة، فلم يوافق على الأمان الذي أعطاه الوزير للحسن[٦]. ولما بلغه خبر جوازه المضيق إلى الأندلس أرسل جماعة من أعوانه اغتالت الحسن وقطعت رأسه وحملته إلى المنصور العامري، ودفنت الجثة بمكان مقتله سنة ٣٧٥هـ جمادى الأول/ أيلول ٩٨٥م[٧].

وبوفاة الحسن انتهت دولة الأدارسة من المغرب حتى قامت بعد ذلك دولة الحموديين في الأندلس، بعد أن دامت من سنة ١٧٢ هـ ـ ٧٨٨ م / ٣٧٥ هـ ـ ٩٨٥ م.

---

(١) روض القرطاس ص ٩٤ ـ اعمال الاعلام ص ٢٢٣ ـ الاستقصا ١/ ٢٠٣. ويلقبه بعسكلاجة ـ H. p 49.

(٢) اعمال الاعلام ص ٢٢٣.

(٣) روض القرطاس ص٩٤ـ ويذكر ابن الخطيب أن المنصور أرسل ابنه عبد الله؟ ص٢٢٣.

(٤) روض القرطاس ص ٩٤ ـ الاستقصا ١/ ٢٠٤.

(٥) روض القرطاس ص ٩٤ ـ الاستقصا ١/ ٢٠٤.

(٦) الاستقصا ١/ ٢٠٤ ـ روض القرطاس ص ٩٤.

(٧) الاستقصا ١/ ٢٠٤ ـ روض القرطاس ص ٩٤. اعمال الاعلام ص ٢٢٤.

الفصل الرابع
أهم أحداث المغرب في عهد الأدارسة

(أ) من الناحية الاقتصادية[1]:

شهد المغرب رخاء اقتصادياً امتد من سنة ٢٠٨ إلى ٢٤٧هـ/ حيث كان معدل سعر الوسق الواحد ثلاثة دراهم. وعندما تعرضت الأندلس للقحط سنة ٢٣٢هـ/ حيث هلكت المواشي ويبست الأشجار والمزروعات وكثر الجراد عرفت البلاد الغلاء وارتفاع الأسعار، كانت بلاد المغرب المركز الأساسي لإمداد الأندلس بالمواد الغذائية.

وبعد الرخاء أتت السنوات العجاف، فشهد المغرب القحط سنة ٢٥٣هـ/ واستمرت الحال على ذلك حتى سنة ٢٦٥هـ/ . وأثناء هذه المدة من القحط عم الغلاء. وشهدت البلاد الإسلامية سنة ٢٦٠هـ/ من الأندلس إلى الحجاز القحط والجفاف وانتشرت في المغرب والأندلس الأوبئة بالإضافة إلى ارتفاع الأسعار وفقدان الغذاء فمات عدد كبير من السكان.

وتكررت مأساة المغرب مرة ثانية، ففي سنة ٢٨٥هـ/ شهد القسم الغربي من العالم الإسلامي مجاعة شديدة حتى أكل الناس بعضهم.

وتتوالى المصائب مع بعضها حيث انتشرت الأمراض الفتاكة، فهلك خلق كثير حتى كان يدفن في القبر الواحد عدة أشخاص من غير غسل ولا صلاة.

---

(١) المصدر الأساسي هو روض القرطاس ص ٩٦ ـ ٩٨.

وفي سنة ٣٠٣هـ/ شهد المغرب والأندلس مجاعة وغلاء أسعار حتى شبهت تلك المجاعة بمجاعة سنة ٢٦٠هـ/ فقد بلغ سعر مد القمح ثلاثة دنانير، وانتشر الموت حتى عجز الناس عن دفن موتاهم. وتتكرر المأساة سنة ٣٣٩هـ/ حيث شهد المغرب القحط والجفاف.

(ب) من الناحية الاجتماعية[١]:

عرفت بلاد المغرب أثناء حكم الإدارسة بعض المشعوذين مدعي النبوة، ففي سنة ٢٣٧هـ/ ادعى رجل بناحية تلمسان النبوة وفسر القرآن تفسيراً خاطئاً، وبث تعاليمه بين الغوغاء الذين لا إيمان لهم اتبعوه والذين قال عن أمثالهم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بأنهم «حمير جهال ابتلاه الله برعيهم»[٢] فقد نهى هذا المشعوذ عن قص الشعر وتقليم الأظافر ونتف الإبطين... إلى غير ذلك من التعاليم التي لا تمت إلى الإسلام بصلة. تصدى له أمير تلمسان فاضطر للهرب إلى الأندلس حيث اتبعه السفهاء.

فما كان من الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم إلا أن اعتقله وأمر بقتله وصلبه وقال هذا المدعي أثناء تنفيذ الحكم فيه «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله».

وفي سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م ادعى النبوة رجل آخر اسمه حاميم في جبال غمارة. وكالعادة فقد اتبعه جمع غفير من غماره، جاءهم ببدع إذ شرع لهم صلاتين بالنهار واحدة وقت طلوع الشمس والثانية وقت غروبها وكل صلاة ثلاث ركعات، وأثناء السجود أمرهم بطي أيديهم تحت وجوههم. وأمرهم أن يقولوا في ركوعهم «آمنت بحاميم وبأبي يخلف صاحبه وآمنت بتاليت عمة حاميم ثم يسجد». وكانت تاليت هذه امرأة كاهنة مشعوذة. وجعل لهم

---

(١) المصدر: روض القرطاس ص ٩٦ ـ ٩٩.

(٢) مرحلة التشيع في المغرب العربي ص ٦٤. (عن المجالس والمسايرات ص ٢٣٧) والخليفة المغر.

دعاء خاصاً يقرأونه بعد تهليل وهو «خلني من الذنوب يا من خلى النظر ينظر في الدنيا، خرجني من الذنوب يا من أخرج يونس من بطن الحوت وموسى من البحر». وفرض عليهم صوم يومي الجمعة والإثنين ويوم الخميس إلى الظهر وصيام عشرة أيام من شهر رمضان ويومين من شوال. وكفارة من أفطر عمداً يوم الخميس ثلاثة ثيران، ويوم الإثنين ثوران. وفرض الزكاة والعشر على كل شيء. وأسقط عن اتباعه الحج والوضوء والتطهر من الجنابة، وأحل لهم أكل أنثى الخنزير وقال: «إنما حرم قرآن محمد الذكر» وهو يخالف تعاليم الآية الكريمة: ﴿حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾[1] وحرم عليهم أكل البيض ورأس كل حيوان. وجعل الحوت لا يؤكل إلا بزكاة.

وكانت بلاد المغرب خاضعة أثناء ذلك لنفوذ الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر فأمر بإلقاء القبض عليه وتم ذلك، وقتل وصلب بقصر مصمودة، وأرسل رأسه إلى الأندلس ورجع أتباعه إلى الإسلام.

---

(١) سورة البقرة, الآية: ١٧٣.

تمصير المغرب

١ ـ البصرة:

تقع بين اصيلا والعرائش على مسافة ثلاث مراحل من فاس[١]، بناها الأدارسة أواسط القرن الثالث الهجري[٢]، سميت ببصرة الكتان لأن سكانها كانوا يتاجرون به، وتعرف كذلك بالحمراء لاحمرار تربتها[٣]، كما دعيت بقصر الذبان لكثرة ألبانها[٤]. بنيت على أنقاض مدينة فينيقية قديمة تدعى تريمولا[٥]، يجاورها جبل صرصر يبعد عنها ثمانية أميال وهو كثير المياه والثمر يسكنه المصامدة[٦]. من منشآتها جامعها وهو من سبع بلاطات، وفيها حمامان، ومدافنها إلى الشرق في جبل. ماؤها زعاف، لذا يشرب سكانها من بئر عذبة إلى جانبها تعرف ببئر ابن ذلفاء[٧]، وقد بنى الادارسة سورها من الحجارة[٨] ولها عشرة أبواب[٩].

---

(١) الروض المعطار ص ١٠٨.

(٢) المغرب عبر التاريخ ص ٧٤.

(٣) معجم البلدان ١/ ٤٤ ـ الروض المعطار ص ١٠٨.

(٤) الروض المعطار ص ١٠٨.

(٥) المغرب عبر التاريخ ص ٧٤ ـ المدن الفينيقية ص ٦٩.

(٦) البيان المغرب ١/ ٣٣٥.

(٧) الروض المعطار ص ١٠٨.

(٨) الروض المعطار ص ١٠٨.

(٩) معجم البلدان ١/ ٤٤ ـ الروض المعطار ص ١٠٨.

أول من ملكها من الادارسة ومصرها إبراهيم بن القاسم بن إدريس وقد تولاها نحو أربعين سنة[١]، ثم خلفه ابنه عيسى ثم ابنه الثاني أحمد ثم برهون بن عيسى وحسن بن محمد بن الحجام ومحمد بن يحيى بن القاسم وعيسى بن أحمد المعروف بأبي العيش وأحمد بن القاسم. وبقي الادارسة يتولون أمورها حتى سنة ٣٤٧هـ/[٢].

وتردد الشعراء على أمرائها يمدحونهم، منهم أحمد بن الفتح المعروف بالخراز التاهرتي، وقد مدح أبا العيش إبراهيم بن القاسم الذي مصر المدينة[٣].

قبـح الإلـه اللهـو الاقينـة	بصـرية فـي حمـرة وبيـاض
الخمر في لحظاتها والورد في	وجناتها والكشح غير مفاض
في شكل مرجى ونسك مهاجر	وعفاف سني وسمت أباضي
تـاهـرت أنـت خليـة وبـريـة	عوضت منك ببصرة فاعتاضي
لا عذر للحمراء في كلفي بها	أو تستفيـض بـأبحـر وحيـاض
ما عذرها والعيش عيني اذبها	ملك الملوك ورائض الرواض

وقد بنى أحمد بن القاسم مدينة كرت بالقرب منها كانت قاعدة له وقد مدحه بكر بن حماد[٤]:

إن السمـــاح والمـــروءة	جمعوا لا حمد من بني القاسم
وإذا تفاخرت القبائل وانتمت	فافخر بفضل محمد وفواطم
وبجعفر الطيار في درج العلى	وعلي الغضب الحسام الصارم
إنـــي لمشتـــاق إليـــك وإنمـــا	يسمو العقاب إذا سما بقوادم

---

(١) البيان المغرب ١/ ٢٣٥.

(٢) البيان المغرب ١/ ٢٣٥.

(٣) الروض المعطار ص ١٠٩.

(٤) البيان المغرب ص ٣٣٦.

فابعث إليّ بمركب أسمو به   علّي أكون عليك أول قادم

٣ ـ مدينة أصيلا[١]:

معناها الجيدة[٢] قامت على أنقاض مدينة فينيقية قديمة تدعى ليكوس أنشأوها خلال القرن السادس ق. م[٣]. ثم طغى عليها البحر فزالت من الوجود. جدد بناءها القاسم بن ادريس ومصرها وبني سورها وفيها قبره[٤].

تقع أصيلا في سهل كان ملكاً لقبيلة لواتة[٥]. تحيط به رواب، يحدها البحر من الغرب والجنوب فإذا هاج بلغ جدار الجامع[٦]، لها خمسة أبواب.

كانت مركزاً تجارياً مهماً، إذ تقام فيها أسواق جامعة ثلاث مرات في السنة، في شهر رمضان وعيد الأضحى وعاشوراء. وقد قصدها الناس من الأمصار للتجارة[٧]. بالإضافة إلى ذلك كانت تقام فيها سوق أسبوعية يوم الجمعة. يشرب سكانها من آبار عذبة المياه[٨].

كان يقيم فيها بربر لواتة وكتامة وبني زياد من هواره وقد شيدت كل قبيلة مسجداً فيها[٩].

تولى أمرها إبراهيم بعد وفاة والده القاسم. كان الأمير الجديد مؤمناً يهتم كثيراً بأمور المسلمين ويحارب أي متمرد مرتد عن الدين الإسلامي

---

(١) معجم البلدان ١/ ٢١٣.
(٢) الروض المعطار ص ٣٢.
(٣) المدن الفينيقية ص ٧٠.
(٤) الروض المعطار ص ٤٢.
(٥) البيان المغرب ص ٢٣٢ و ٢٣٣.
(٦) معجم البلدان ص ٢١٣.
(٧) الروض المعطار ص ٤٢ ـ البيان المغرب ص ٢٣٢.
(٨) معجم البلدان ص ٢١٣.
(٩) البيان المغرب ص ٢٣٣.

مهما كان العداء بينه وبين الحاكم المسلم. فقد اتصل به الثائر الأندلسي عمر بن حفصون طالباً تأييده في محاربة الأمير الأموي، في الأندلس لكي يدعم موقفه من الناحية الشرعية مستغلاً العداء التقليدي بين الهاشميين والأمويين. ورفض الأمير إبراهيم استقبال مبعوث ابن حفصون خاصة عندما بلغه بأنه ارتد عن الإسلام إلى النصرانية وتحالف مع ملك ليون[١].

ثم آل أمر المدينة إلى الحسن الحجام فكان يستعمل عليها الولاة[٢] ثم وليها ابنه الحسين مدة خمس وعشرين سنة. وبقي الادارسة يتولون أمرها حتى سقوط دولتهم.

قال الشاعر إبراهيم بن محمد الأصيلي من بني زياد الهواريين[٣].

سقى غربي أرض بني زياد سحائب ما يجف لها غروب
ولازال النعيم يعم قوماً ازاؤهم من الشرق الكثيب

لقد هاجمت المدينة شعوب الشمال زاعمين أن بها أموالاً لهم فصدهم سكانها البربر، واتخذوا رباطاً ووفد إليها السكان من المناطق المجاورة حتى أصبحت عامرة.

ثم هاجموها مرة ثانية فقذفت الرياح مراكبهم وحطمت لهم سفناً كثيرة فعرف ذلك الموضع بباب المجوس[٤].

٤ ـ مدينة جراوة:

أسسها أبو العيش عيسى بن إدريس محمد بن سليمان الإدريسي سنة ٢٥٧هـ/ تبعد عن البحر مسافة ستة أميال[٥] تقع وسط سهل صالح للزراعة

(١) البيان المغرب ص ٢٣٣.
(٢) الروض المعطار ص ٤٢.
(٣) الروض المعطار ص ٤٢ ـ البيان المغرب ص ٢٣٥.
(٤) البيان المغرب ص ٢٣٢ و ٢٣٣.
(٥) البيان المغرب ١/١٩٦ ـ الروض المعطار ص ١٦٢. ويذكر سنة التأسيس ٢٥٩هـ.

ورعاية المواشي تتفجر فيه الينابيع. داخل المدينة آبار عذبة بنى سورها من الطوب لها أربعة أبواب اثنان شرقيان والثالث إلى الغرب والرابع إلى الداخل. أهم منشآتها القصبة والجامع وهو من خمس بلاطات وخمس حمامات.

تقيم حولها عدة قبائل بربرية، مطغرة على البحر وفي الجبل بنو يزناتن وفي الشرق بنو يفرن الزناتيين وفي الغرب زواغة. تولى أمرها بعد مؤسسها ابنه الحسن سنة ٢٩١هـ/ ثم غادرها إلى المقصورة سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م وعاد إليها سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م[١].

٥ ـ قلعة حجر النسر[٢]:

قلعة بالريف من أرض غمارة[٣] على مسيرة ثلاثة أيام من سبتة تقع جنوب شرق البصرة على قمة جبل شاهق وعر من الصخر يرقى إليها بطريق ضيق فلا يمر فيه في وقت واحد إلاّ رجل واحد فكأنها وكر النسر الذي يبيت في أعالي القمم فدعيت بحجر النسر بناها الأمير إبراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م والغرض من بنائها أن تكون حصناً يلجأ إليه الادارسة إذا داهمتهم الخطوب. وهذا ما حدث. إذ كانت ملاذهم عندما انهزموا أمام موسى بن أبي العافية. وكذلك عندما هاجمهم الأمويون[٤].

---

(١) البيان المغرب ١/ ١٩٦.

(٢) معجم البلدان ١/ ٤٤.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ص ٣٢٢.

(٤) البيان المغرب ص ٣١٤.

مساجد المغرب الأقصى

﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾.

وتطبيقاً لأحكام الآية الكريمة أقدم الأدارسة على تشييد المساجد للعبادة لأنها بيوت الله ﴿إنما المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾ وللتعليم. وأول مسجد بناه الأدارسة كان في مدينة تلمسان مطلع سنة ١٧٤هـ، في المغرب الأوسط أسسه الإمام إدريس الأول في صفر من ذلك العام حزيران ٧٩٠، وجاء غاية في الإتقان خطبت له فيه، وقد نصب فيه منبراً كتب عليه: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أمره الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي (ع)[١].

جامع الأشياخ

بناه الإمام إدريس الثاني في عدوة الأندلسيين سنة ١٩٢هـ/٧٩٨م قرب رحبة البير وأقام الخطبة فيه إلى أن أمر بنقلها إلى جامع الشرفاء[٢] وكان يتألف من ست بلاطات. ويعرف الآن بجامع الأنوار.

جامع الشرفاء

بناه كذلك الإمام إدريس الثاني في عدوة القرويين ١٩٣هـ/٧٩٩م

---

(١) اعمال الاعلام ص ١٩٢ ـ روض القرطاس ص ٢١ ـ الدر النفيس باب ٢ فصل ١١.

(٢) جنى زهرة الآس ص ٢٥.

وأقام به الخطبة وبه ضريحه إلى الآن حيث يقصده الزوار للتبرك وطلب قضاء الحاجات[1].

جامع القاسم بن إدريس

بناه الإمام القاسم بن إدريس بتادهرت قرب أصيلاً على ضفة نهر قرب مصبه في المحيط وانصرف للتعبد فيه بعد هزيمته على يد أخيه عمر[2].

جامع البصرة

بناه إبراهيم بن القاسم بن إدريس وكان يتألف من سبع بلاطات[3].

جامع جراوة

بناه أبو العيش عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان الإدريسي، وهو من خمس بلاطات[4].

مساجد أصيلا

بنت قبائل لواته وكتامه وبنو زياد الهواريين أيام الأدارسة مساجد لها في المدينة[5].

---

(١) جنى زهرة الآس ص ٢٥.
(٢) جذوة الاقتباس ١/ ٢٠٤ ـ روض القرطاس ص ٥٢. العبر ٤/ ١٤.
(٣) الروض المعطار ص ١٠٨.
(٤) البيان المغرب ١/ ١٩٦.
(٥) البيان المغرب ١/ ٢٣٣.

جامع الأندلس

بنته مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري سنة ٢٤٥هـ وقد اشترت مكانه من المال الذي ورثته عن والدها. كان يتألف من ست بلاطات وله صحن صغير نقلت الخطبة إليه من جامع الأشياخ في سنة ٣٠٧هـ بأمر من حامد بن حمدان الهمداني والي فاس من قبل عبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي[١].

جامع القرويين[٢]

أهم جوامع فاس أسسته فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري بعدوة القرويين بعد أن استشارت الأمير يحيى بن محمد بن إدريس، وكانت قد ورثت عن والدها مالاً طائلاً فعزمت على بناء مسجد بعد أن ضاق جامع الشرفاء بالمصلين.

اشترت مكانه من رجل هواري وشرعت في البناء نهار السبت مستهل شهر رمضان ٢٤٥هـ/ ٣٠ تشرين الثاني ٨٥٩م. وحفرت بئراً في الأرض لاستخراج الماء اللازم للشرب والبناء وحددت القبلة على غرار قبلة مسجد الشرفاء.

كان تخطيط الجامع مربعاً تقريباً مع ميل إلى المستطيل طوله من الغرب إلى الشرق ١٥٠ شبراً أي ٣٥م ومساحته تتألف من أربع بلاطات في كل بلاطة ١٢ قوساً وهي أفقية ممتدة من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة ومن ١٢ بلاطة عمودية من الجنوب إلى الشمال. وعند نهاية قاعة الصلاة كان الصحن الأول للمسجد له أربعة أبواب ومئذنة غير مرتفعة.

(١) الجذوة ص ٧٨.

(٢) روض القرطاس ص ٥٤ ـ جنى زهرة الآس ص ٤٥ و ٤٦.

وكانت فاطمة قد نذرت صوماً منذ بدأ العمل بالبناء حتى تم وصلت فيه شكراً لله تعالى. ثم نقلت الخطبة إليه من جامع الشرفاء سنة ٣٠٧هـ بعد خضوع فاس للفاطميين وأول خطيب كان الشيخ عبد الله بن علي الفارسي.

ميزة هذا الجامع أنه أول جامع في التاريخ تعمره امرأة مسلمة مما حفظ لها اسمها على مر العصور. وقد تحول فيما بعد إلى جامعة تعد أقدم جامعة علمية في التاريخ.

الجامع يتحول إلى جامعة

بدأ التعليم في جامع القرويين منذ أن تم بناؤه لأن المساجد كانت الأماكن الأولى للتعليم في الإسلام، إذ أن مسجد الرسول ﷺ في المدينة كان للعبادة والتعليم حيث كان النبي ﷺ يجمع المسلمين فيه، يفسر لهم الآيات التي كانت تنزل عليه ويعلمهم أصول الدين وفروعه وأحكام القرآن والفقه وكل ما يمت إلى الدين الإسلامي بصلة وكذلك العلوم التي يحتاجها المسلم في حياته اليومية.

كان مسجد الرسول ﷺ المثال الذي احتذته وسارت على نهجه سائر مساجد العالم الإسلامي ومنها جامع القرويين. فقد أمه بعد تأسيسه عدد من العلماء والشعراء منهم الشاعر ابن حماد التاهرتي استقدمه الأمير أحمد بن القاسم بن إدريس إذ كان بينهما معرفة وتجمعهما رابطة العلم. وكذلك كان الإمام يحيى الرابع المتوفي ٣٠٧هـ يستقبل الوراقين الذين ينسخون الكتب ويقيمون بالجامع وكان يغدق عليهم ومنزله بجوار الجامع.

شروط الانتساب إلى الجامعة:

كان هناك شروط يجب أن تتوفر في الطالب الذي يريد أن ينتسب إلى الجامعة ويستفيد من علوم مشايخها، على الطالب أن يكون على معرفة

سابقة بعدد من العلوم الأولية التي تمكنه من الارتفاع إلى مستوى الطلاب. ففي المساجد يعكف الصغار على حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادىء الدين وقواعد اللغة العربية. والمرحلة الثانية أخذ بعض العلوم في المساجد الصغرى ينتهي بعدها إلى مجالس القرويين.

لم تكن هناك سن معينة تجيز للطالب بالانتساب إلى الجامعة ولا فترة معينة للدراسة ولا عمر معين ليتقاعد الشيخ.

طرق التدريس:

وطرق التدريس كانت ترتبط بالشيخ الذي يقوم بالتدريس.

كان الطلاب يقعدون أمام الشيخ حلقة حلقة. النجباء في الحلقة الأولى ويليهم من هم دونهم مرتبة. يتوسط طلبة الحلقة الأولى طالب ذكي يساعد الشيخ في إعطاء الدرس يسمى السارد ويحظى بمكانة عند الشيخ.

العلوم موضوع الاختصاص:

كانت تنقسم إلى ثلاثة فروع الدينية والأدبية والعلوم البحتة.

والعلوم الدينية كانت تضم دراسة القرآن والسنة وما يتبعها من علم القراءات والحديث والفقه. ونتيجة لأخذ المغاربة بالمذهب المالكي كانت المؤلفات في ذلك المذهب المادة الفقهية التي تدرس في القرويين حتى عهد المرابطين على الرغم من اهتمام بعض الفقهاء بالمذهب الشافعي كالشيخ أبي جيدة[(١)] ٣٦٥هـ/ وابن الرمامة ٥٦٧هـ.

وأيام الموحدين أصبحت مصادر الدراسة الفقهية تعتمد على صحيحي البخاري ومسلم، وعلى الموطأ وأبي داوود والترمذي. وكذلك انتشر مذهب التصوف على طريقة الشيخ الجنيد وأخذه أبو مدين من الشيخ

---

(١) جذوة الاقتباس ٢٥ ـ ٥٣ و٥٤.

الجيلاني البغدادي. وازدهر علم الكلام والأصول حتى قصد فاس الأندلسيون لتلقيها من السلالجي وأمثاله.

والعلوم الأدبية منها النحو واللغة والعروض والبيان والتاريخ والفلسفة والعلوم البحتة فكان اهتمام المسلم بالحساب لتسوية إرثه وضبط مناسك الصلاة والصوم وهذا يؤدي إلى الاهتمام بالأرقام، ومنها الهندسة والتنجيم والهيئة وقد برع فيها ابن الياسمين ونظم أرجوزة في الجبر، والحسن المراكشي صاحب كتاب المبادىء والغايات في علم الميقات وكان أهم من صنف في هذا الفن وقد رتبه على أربعة فنون الأول في الحسابات والثاني في وضع الآلات والثالث في العمل بالآلات والرابع في التطبيقات. إلى جانب ذلك مدرسة طبية.

كتب التدريس:

في البدء اعتمدت جامعة القرويين على الكتب والمخطوطات الواردة من المشرق في العلوم الدينية (القرآن والحديث) والأدبية والعلمية. ثم عمد المغاربة إلى الاعتماد على أنفسهم فظهرت المؤلفات المغربية في مختلف العلوم.

في عهد الأدارسة كانت المؤلفات نادرة، ثم كثرت في عهد المرابطين والموحدين.

ففي عهد المرابطين أصدر إبراهيم بن جعفر اللواتي ٥١٣هـ/ مختصر كتاب ابن زمنين. وللقاضي عياض ٥٣٣هـ/ الأعلام بحدود قواعد الإسلام وكذلك الأجوبة المحبرة على الأسئلة المتخيرة، والنوازل القضائية والتنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة. بالإضافة إلى كتب في التفسير والحديث مثل تفسير أبي بكر بن الجوزي وإكمال المعلم في شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، وسر السراة في أدب القضاة.

وفي عهد الموحدين ظهرت الكتب في مختلف العلوم إذ كان مرحلة مزدهرة في التأليف وأولها كتب الفقه التي تتناول تفسير القرآن والحديث. من هذه الكتب تفسير القرآن لعبد الجليل القصري ٦٠٨هـ/ وشعب الإيمان وتنبه الأنام في مشكل الحديث، ولأبـي الحسن الحصار ٦١١هـ/ شرح أسماء الله الحسنى والناسخ والمنسوخ والمدارك في وصل مقطوع مالك. ولأبـي الحسن الحرالي المراكشي مفتاح اللب المقفل لفهم الكتاب المنزل.

وتفسير القرآن للمزدغي ٦٥٥هـ/ وله كذلك شرح حديث إذا نزل الوباء بأرضها، وكتاب الاستدراك والإتمام لكتاب السهيلي المسمى بالتعريف والإعلام بما أبهم في الكتاب العزيز من الأسماء والأعلام لابن فرتون الفاسي ٦٦٦هـ/ وكتاب النزع في إبطال القياس لابن القطان الفاسي ٦٢٨هـ/ وفي التراجم فهرست أبـي الصبر أيوب ٦٠٤هـ/ وبرنامج ابن القطان الفاسي وبرنامج عبد الرحمن بن الملجوم ٦٠٣هـ/ وبرنامج ابن فرتون.

وفي اللغة والنحو كتاب التوصية في العربية لابن العباس التدميري ٥٥٥هـ/ والمقدمة لأبـي موسى الجزولي ٦٠٧هـ/ .

وفي الرياضيات جامع المبادىء والغايات في علم الميقات لأبـي الحسن علي المراكشي ٦٢٧هـ/ وأرجوزة الجبر لابن الياسمين الفاسي ٦٠١هـ وتلقيح الأفكار في العمل برسم الغبار.

في التصوف والفقه كتاب الهداية لأبـي عبد الله محمد بن إبراهيم المهيد ٥٩٥هـ وحاشية على المدونة لأبـي محمد يشكر ٥٩٨هـ/ وحاشية ثانية على المدونة لراشد الفاسي ٦٧٥هـ/ وكتاب الإنابة إلى طريق أهل الاستجابة لمحمد بن قاسم التميمي ٦٠٤هـ/ .

في علم الكلام كتاب أعز ما يطلب للمهدي بن تومرت والعقيدة المرشدة له وله التنزيهان والتسبيحان وتعاليق في الأصول والعقيدة البرهانية

للسلالبـي ٥٦٤هـ/ وعقيدة المزدغني وأرجوزة في الأصول.

في التاريخ والجغرافيا والشعر أخبار المهدي للبيذق ونزهة المشتاق للشريف الإدريسي ٥٦٠ وديوان قاضي فاس أبـي حفص عمر السلمي ٦٠٤.

وديوان الخطابي الفاسي ٦٣٧هـ/ وديوان ابن حبوس الفاسي ٥٧٠هـ وكتاب الأنساب والشعر لابن رقية ٦٠٥هـ.

وقد شهد لجامعة القرويين سابقتها في العالم بعض العلماء الغربيين، فقد ذكر روم لاندو عنها: وقد شيد في فاس منذ أيامها الأولى جامع القرويين الذي هو أهم جامعة وأقدمها. وكان المثقفون منذ ألف سنة يعكفون على المباحثة العلمية والمناظرات الفلسفية، وكانوا يدرسون التاريخ والعلوم والطب والرياضيات ويشرحون أرسطو»[1].

ونشر العالم جوزي بندلي بن صليب في مجلة الهلال المصرية تموز ١٨٩٣ ١٧ ذي الحجة ١٣١٠ ص ٣٥٦. «ان أقدم مدرسة كلية في العالم انشئت لا في أوروبا كما كان يظن بل في افريقيا في مدينة فاس، أسست في الجيل التاسع للميلاد. وعليه فهي ليست فقط أقدم كليات العالم بل هي الكلية الوحيدة التي كان يتلقى فيها الطلبة العلوم الأدبية السامية في تلك الأزمنة حينما لم يكن سكان باريز واكسفورد وبارو وبولونيا بعرفون من الكليات إلا الاسم.

فاس كما دعا لها مؤسسها الإمام ادريس الثاني دار علم كانت ولا تزال مفخرة العرب المؤسسين لها.

أسماء مشاهير المشايخ والعلماء والأساتذة الذين درسوا في الجامعة وألفوا كتباً كانت تتصدر مواد الدراسة.

---

(١) التازي ص ١١٤.

القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي[١] ٤٧٦ ـ ٥٤٤ : من سبتة ـ أجاز له أبو علي الغساني ـ جمع من الحديث كثيراً رحل إلى فاس واستقر بها وأخذ عنه بها جماعة من الطلاب له عدة مؤلفات الاعلام بحدود قواعد الإسلام ونظم البرهان على صحة جزم الآذان والأجوبة المحبرة على الأسئلة المتخيرة وأجوبة القرطبيين له[٢] واكمال المعلم شرح صحيح مسلم وترتيب المدارك وتقريب المسالك وغنية الكاتب وبغية الطالب. . .

أحمد بن عبد الجليل التدميري نسبة إلى تدمير في الأندلس. كان عالماً بالعربية واللغة والأدب وشاعراً ألف كتاباً سماه نظم القرطين وضم أشعار السقطين جمع فيه أشعار الكامل للمبرد والنوادر لأبـي علي البغدادي وكتاب التوطية في العربية وله شرح على كتاب الفصيح وشرح أبيات الجمل سماه شفاء الصدور وكتاب المختزل وكذلك كتاب الفوائد والفرائد كلفه سلطان مراكش لتأديب بنيه. توفي ٥٥٥ هـ.

عثمان بن عبد الله السلالجي القيسي القرشي كان إمام أهل الغرب في علوم الاعتقادات له كتاب البرهانية استقر بفاس ونذر نفسه لتعليم الطلبة فيها.

توفي يوم الأحد ٢١ جمادي الآخرة ٥٦٤[٣] ودفن خارج باب الفتوح وقد هجا أهل فاس:

خذوا ضماني الا تفلحوا أبداً	ولو شربتم مداد الكتب بالصحف
أنتم صغار كبار عند أنفسكم	هل يستوي من يقيس الدر بالصدف

---

(١) النبوغ المغربي ص ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) النبوغ المغربي ص ٩٤ و ٩٥.

(٣) الجذوة ص ٤٥٨.

وقد تتلمذ على يد علي بن محمد بن خليد الأندلسي وله الفضل في إقناع المغاربة بصحة العقيدة الترمذية.

محمد إبراهيم المهدوي صاحب كتاب الهداية كان فقيهاً وعالماً أقام في جامع القرويين أربعين سنة توفي نهار الجمعة ٢٥ جمادي الأول توفي ٥٩٥هـ[١].

أبو محمد يسكر بن موسى الجورائي كان فقيهاً وهو أحد مشايخ المغرب المشهورين الذين درسوا الفقه. توفي ٢١ ذي العقدة ٥٩٨[٢] كان أمام جامع القرويين طيلة أربعين سنة.

أبو يحيى العتاد الشيخ والأديب[٣]، كان إماماً في اللغة والشعر وهو الذي صنع منبر جامع القرويين من خشب الصندل والأبنوس والعناب وعظم العاج وقد روي عنه جماعة من علماء القرويين.

الغندلاوي[٤] أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم من سكان فاس له كتاب المستفاد في مناقب الصالحين والعباد، كان من أئمة أهل المغرب في فنون العلم توفي في ذي الحجة سنة ٥٩٥هـ.

علي بن محمد بن القطان الكتامي الفاسي[٥]، تتلمذ على يد أبـي عبد الله بن الفخار وأبـي الحسن بن النقران وأبـي عبد الله بن البقال وأبـي ذر الخشني وغيرهم كان من أبصر الناس بالحديث وحفظ أسماء المحدثين «وأشدهم عناية بالرواية مع التفنن في المعرفة والدراية» جمع برنامجاً مفيداً في مشيخته رأس الطلبة بمراكش له كتاب شرح الأحكام ومقالة في الأوزان

---

(١) الجذوة ص ٢٧٣.

(٢) جنى زهرة الآس ص ٥٧ و ٥٨.

(٣) الأنيس المطرب روض القرطاس ص ٥٥.

(٤) الجذوة ص ٢٢٠ ـ جنى زهرة الآس ص ٨.

(٥) الجذوة ص ٤٧٠ و ٤٧١.

والنظر في أحكام النظر توفي مطلع ربيع الأول ٦٢٨هـ/ الثلاثاء ٧ ك٢ ١٢٣١م.

عبد الله بن محمد بن حجاج[١] المعروف بابن الياسمين بربري تتلمذ على يد أبي عبد الله بن القاسم في علم الحساب والعدد. له أرجوزة في الجبر والمقابلة توفي مقتولاً ٦٠١.

عمر بن عبد الله بن عمر السلمي الأغماتي[٢] استقر في فاس، درس كتاب سيبويه عن أبي بكر بن طاهر. كان شاعراً وأديباً اشتهر بجودة الحظ ولي قضاء فاس واشبيلية توفي ٢٥ ربيع الأول ٦٠٣.

عبد الرحمن بن يوسف بن محمد[٣] يكنى بأبـي القاسم وبابن رقية كان عالماً بالشعر والأنساب وينظم الشعر جمع كثيراً من الكتب حتى كانت مكتبته أكبر مكاتب المغرب أورثها لابنته الوحيدة فباعتها بـ ٤ آلاف دينار توفي في محرم ٦٠٥.

علي بن أحمد بن أبـي بكر الكتامي المعروف بابن حنين[٤] درس موطأ مالك وعلم القراءات لقي الغزالي استقر بفاس سنة ٥٥٣ وعلم بها القرآن. ولد بقرطبة ٤٧٦هـ وتوفي بفاس ٥٦٩هـ.

علي بن محمد بن محمد الجزرجي الفاسي[٥] ولد بفاس أصله من اشبيلية استوطن سبتة درس على يد أبـي القاسم ابن حبيش ألف كتباً عديدة في أصول الفقه، والناسخ والمنسوخ ـ والبيان في تنقيح البرهان، وكتاب

---

(١) جذوة ص ٤٢٣.
(٢) الجذوة ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨.
(٣) الجذوة ص ٣٩٦.
(٤) الجذوة ص ٤٨٠.
(٥) الجذوة ص ٤٧٠.

المدارك، وله عقيدة في أصول الدين وشرحها في أربعة أسفار توفي ٦١٠هـ.

أبو الحجاج يوسف بن عبدالصمد[1] **بن يوسف** كان عالماً بالسير والتاريخ أخذ علم الكلام وأصول الفقه عن الزاهد محمد بن عبد الكريم الفندلاوي درس في مسجد زقاق الرواح بفاس رحل إلى الأندلس ثم عاد إلى بلده ٦١٣ حيث درس من جديد في القرويين إلى أن توفي في ٢ رجب ٦١٤هـ/ الخميس ٤ ت١ ١٢١٧.

الخطاب الفاسي ميمون[2] **بن علي الخطابي** من فاس كان شاعراً وأديباً له مجالس أدبية. توفي ٦٣٧ هـ.

أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عمران المزدغي الفقيه الخطيب[3]. كان عالماً بأصول الدين والعلوم العقلية، محدثاً. له كاتب تفسير القرآن انتهى فيه إلى سورة الفتح. من مصنفاته أنوار الأفهام في شرح الأحكام ومقاله إذا نزل الوباء وثانية فيما يجوز للفقراء المضطرين في أموال الأغنياء المغترين وعقيدة مرجزة. أخذ الحديث عن أبي ذر بن أبي راكب. توفي نهار الأحد ١٤ ربيه الأول ٦٥٥هـ.

ابن فرتون أبو العباس أحمد بن إبراهيم[4] **بن أحمد بن خلف بن الحسن بن الوليد بن فرتون** له كتاب الاستدراك والاتمام وكتاب الذيل على الصلة روى عن كثير من العلماء منهم أبو ذر الخشني وأبو القاسم بن الملجوم توفي في ٢٦ شعبان ٦٦٠هـ.

---

(١) التازي ص ١٩٠.

(٢) التازي ص ١٩٠.

(٣) جنى زهرة الآس ص ٥٠ ـ النبوغ المغربي ص ١٤٨.

(٤) الجذوة ص ١١٧ و ١١٨.

راشد بن أبي راشد الوليدي[1] مؤلف كتاب الحلال والحرام وله أجوبة على المدونة روى عنه أبو الحسن بن سليمان القرطبي وأبو الحسن الزرويلي توفي ٦٧٥.

أبو جيدة بن أحمد فقيه واعظ عالم عامل وصالح كان معاصراً لدراس بن اسماعيل ذكره الكتابي في سلوة الانفاس أنه من اعلام مذهبي المالكي والشافعي وله تأليف في الوثاق الشافعية. توفي حوالي ٣٦٠هـ. ودفن خارج باب بني مسافر[2].

دراس بن إسماعيل لقبه أبو ميمونة من فاس سمي دراس لكثرة درسه ورحل إلى المشرق وحج وهو ممن أدخل مذهب مالك إلى المغرب توفي بمدينة فاس ٣٥٧هـ[3].

محمد بن عبد الكريم الفندلاوي الكتاني له كتاب المستفاد في مناقب الصالحين والعباد من أهل مدينة فاس وما والاها من البلاد من أئمة المغرب توفي في ذي الحجة ٥٩٥هـ ت ١١٦٤م[4].

الادريسي العلامة الجغرافي الشهير أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس من سلالة الخلفاء الحموديين بالاندلس ـ ساح في شمال افريقية وآسيا الصغرى والأندلس استدعاه روجار الثاني ملك صقيلة وهناك ألف كتاب «نزهة المشتاق في معرفة الآفاق وضع كرة سماوية ودائرة أرضية من الفضة وألف كتاب روض الأنس ونزهة النفس وله كتاب الأدوية المفردة، ترجم كتاب نزهة المشتاق إلى لغات أوروبا توفي ٥٦٩هـ[5].

---

(١) الجذوة ص ١٩٦ و ١٩٧.

(٢) سلوة الانفاس ٣/ ٩٢ ـ الجذوة ص ١٠٧.

(٣) الجذوة ص ١٩٤.

(٤) جنى زهرة الآس ص ٨ ـ الجذوة ص ٢٢٠. سلوة الأنفاس ٣/ ١٧٣.

(٥) النبوغ المغربي ص ١٥٦.

علي بن حرزهم[1] **أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم** ولد بفاس كان من كبار الفقهاء والمدرسين فيها يميل إلى التصوف، اعتمد كتاب الإحياء للغزالي وضبط مسائله درّس بفاس وأخذ عنه أبو مدين الأنصاري توفي ٥٥٩هـ.

أبو علي الحسن بن علي المراكشي العالم الرياضي المشهور له كتاب المبادىء والغايات في علم الميقات وقد رتبه على أربعة فنون.

١ ـ في الحسابيات وهو يشتمل على سبعة وثمانين فصلاً.

٢ ـ في وضع الآلات وهو يشتمل على سبعة أقسام.

٣ ـ في العمل بالآلات وهو يشتمل على خمسة عشر باباً.

٤ ـ في مطارحات يحصل بها الدربة والقوة على الاستنباط وهو يشتمل على أربعة أبواب في كل باب منها مسائل على طريق الجبر والمقابلة. وعلى هذا الكتاب اشتهر المراكشي عند علماء الغرب واعتبروه من أعظم فلكيي العرب. وقد ترجمه إلى الفرنسية سيديو ونقل البارون كارادفو فصلاً منه يتعلق بالاسطرلاب. توفي ٦٢٧ هـ[2].

---

(١) النبوغ المغربي ص ٩٠ ـ ٩١.

(٢) النبوغ المغربي ص ١٥٧.

الجــزء الثانــي

الفصل الأول : تمهيد واستيلاء علي بن حمـود على السلطة في الأندلس.

الفصل الثاني : القاسم بن حمود.

الفصل الثالث: عودة الأمويين إلى حكم الأندلس.

الفصل الرابع: عودة الحموديين للحكـم ونهاية دولتهـم فـي الأندلس.

الفصل الأول
تمهيد واستيلاء علي بن حمود على السلطة في الأندلس

اشتد الصراع على السلطة بين الأمويين في الأندلس بعد وفاة الحاجب محمد بن أبي عامر[1]. فقد خلفه في الحجابة ابنه عبد الملك ثم عبد الرحمن[2] الذي تلقب بالناصر وأعلن نفسه ولياً لعهد الخليفة الأموي هشام المؤيد[3].

لم يرض الأمويون بخروج الأمر من أيديهم واستئثار أبناء المنصور العامري بالسلطة، فثار محمد بن هشام بن عبد الجبار على الخليفة هشام المؤيد وخلعه وذلك نهار الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة ٣٩٩هـ/ ٥ شباط ١٠٠٩م[4] وانضم الجيش إليه فألقى القبض على عبد الرحمن بن المنصور العامري وصلبه وتلقب بالمهدي[5].

وتلاحقت الأحداث بعد ذلك بسرعة مذهلة، فلم يكد الخليفة الجديد يستقر في الحكم حتى ثار عليه هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر

---

(١) محمد بن عبد الله بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك العامري المعافري كان صاحب الخليفة هشام المؤيد بن الحكم المستنصر ثم أصبح صاحب السلطة الفعلية في الأندلس ٣٩٢هـ.

(٢) جذوة الاقتباس ص ٤٧ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥٠ ـ اعمال الاعلام ص ٨٩.

(٣) الخليفة هشام المؤيد ابن الحكم المستنصر ابن عبد الرحمن الناصر.

(٤) جذوة الاقتباس ص ٤٧ ـ اعمال الاعلام ص ١٠٩ ـ بغية الملتمس ص ٢٢.

(٥) جذوة الاقتباس ص ٤٧ ـ اعمال الاعلام ص ١١٣ ـ بغية الملتمس ص ٢٢.

ومعه قوة من البربر نهار الخميس ٥ شوال ٣٩٩هـ/ حزيران ١٠٠٩م[١].

أمام هذه الأحداث نظر سكان قرطبة إلى دولتهم التي شيد بنيانها سياسيون عباقرة وقادة أفذاذ تنهار خلال أشهر معدودة حتى كأنها لم تكن. فالصرح العربي في الأندلس الذي أنشىء منذ الفتح توالت عليه الأحداث والنكبات... وأضحى سكان قرطبة يعيشون ليومهم فقط. لذلك أجمعوا على أن يكون لهم رأي في مصير مدينتهم لانقاذها من المصير الذي ينتظرها على يد هؤلاء المغامرين الأمويين، فانحازوا إلى جانب محمد بن هشام المهدي، وانهزم الجيش البربري، ووقع هشام بن سليمان وأخوه أبو بكر في الأسر فقتلهما المهدي[٢].

لكن البربر لم يسلموا بالهزيمة بل ثاروا وبايعوا سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر ابن أخ هشام القتيل وذلك في ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ[٣]، فتلقب بالمستعين وأعد جيشاً من النصارى وقادهم مع البربر إلى قرطبة[٤]. ودارت معركة رهيبة بين المتنازعين بجبل قنتيش قُتل فيها من سكان قرطبة حوالي عشرين ألفاً منهم أئمة المساجد والمؤذنين[٥]. وقد أمعن النصارى القتل في أهل قرطبة إذ قتلوا ثلاثة آلاف. فكانت أولى ثاراتهم من المسلمين[٦].

واضطر المهدي للهرب إلى طليطلة وعليها واضح الحكمي[٧] وكانت الثغور لا تزال تؤيده، واستنجد كذلك بالنصارى وشكل جيشاً[٨] منهم

---

(١) جذوة الاقتباس ص ٤٨.
(٢) جذوة الاقتباس ص ٤٨ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥٠ ـ اعمال الاعلام ص ١١٣.
(٣) ابن الأثير ص ٢٤٨ ـ الذخيرة ١/ ٣٦.
(٤) بغية الملتمس ص ٢٢ ـ المعجب ص ٤٣.
(٥) ابن خلدون ٤/ ١٥٠ ـ الذخيرة ص ٤٣ العدد ١٠ آلاف وأزيد.
(٦) اعمال الاعلام ص ١١٣ ـ الذخيرة ص ٤٤.
(٧) اعمال الاعلام ص ١١٤ ـ بغية الملتمس ص ٢٢ الذخيرة ص ٤٥.
(٨) جذوة الاقتباس ص ٤٨ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥١ ويذكر: واستجاش بابن اذفونش.

هاجم به مدينة قرطبة حيث سليمان والبربر. وهكذا أصبح النصارى القوة المقاتلة في جيش الأمويين المتصارعين فانتهزوا الفرصة للانتقام من المسلمين الذين أذلوهم كثيراً. ودارت معركة بين الفريقين في عقبة البقر على مسافة بضعة أميال من المدينة[1] وانهزم سليمان الذي فر من المعركة ولحق بالبربر. ودخل المهدي العاصمة ومكث فيها عدة أيام، ثم خرج لقتال البربر والتقى بهم بوادي آره[2] فهزموه وقتلوا من أنصاره النصارى حوالي ثلاثة آلاف[3] وتراجع إلى قرطبة حيث حاصروه فيها. وتآمر عليه العبيد مع واضح الصقلبي وقتلوه نهار الأحد ٧ ذي الحجة ٤٠٠هـ/ ١١١١م وكان عمره ٣٤ سنة[4]. واجتمع سكان قرطبة على تجديد البيعة لهشام المؤيد عله يعصمهم من البربر ويضع حداً لتعدياتهم. فأقام واضح العامري على حجابته[5]. واستمر البربر بقيادة المستعين يحاصرون المدينة[6]، ويقومون بأعمال السلب والنهب (والبربر معه لا تبقي على صغير ولا كبير ولا امرأة...)[7] وسقطت المدينة بأيديهم بعد ثلاث سنوات من الحصار في ٢٦ شوال ٤٠٣هـ/ أيار ١٠١٣م، وتلقب سليمان بعد ذلك بالظافر بحول الله[8]. ونال سكان قرطبة الكثير من أذى البربر في الأنفس والأموال والأعراض والممتلكات[9] ثم انتقل سليمـان إلى مدينة الزهراء مع حاشيته وجيشه فدخلوها واستقروا بها.

---

(١) جذوة الاقتباس ص ٤٨.

(٢) معجم البلدان ١/ ٤٩ و ٦٠ ـ اعمال الاعلام ص ١١٥ ويسميه وادي يارو من احواز مربلة أي السقائين ـ بغية الملتمس ص ٢٣.

(٣) جذوة الاقتباس ص ٤٩ ـ اعمال الاعلام ص ١١٥.

(٤) جذوة الاقتباس ص ٤٩ ـ بغية الملتمس ص ٢٣.

(٥) ابن خلدون ٤/ ١٥١ ـ اعمال الاعلام ص ١١٦.

(٦) ابن خلدون ٤/ ١٥١.

(٧) جذوة الاقتباس ص ٤٩.

(٨) جذوة الاقتباس ص ٤٩ ـ ذخيرة ٣٧. معجب ٤٣.

(٩) ابن خلدون ٤/ ١٥١ ـ الأعمال الاعلام ص ١١٨.

ونزل القاسم وعلي ابنا حمود الإدريسي في شقنده ضاحية قرطبة وكان المستعين قد عينهما على قيادة المغاربة في جيشه[١]. وأخذ سليمان ينظم الدولة المضطربة، إذ كانت تعمها الفوضى ونفوذها لا يتجاوز ضواحي العاصمة.

وقبض البربر على السلطة الفعلية وتولوا جميع المناصب المهمة واستولوا على المدن الكبيرة[٢]. لذلك رأى سليمان أن يبعدهم عن العاصمة قرطبة، فوزعهم على ولايات الأندلس وثغورها، فولى علي بن حمود ثغر سبتة وأخاه القاسم ثغور الجزيرة الخضراء وطنجة وأصيلا[٣]، ووزع بقية المدن على القبائل البربرية، فأعطى صنهاجة البيرة (غرناطة) ومغراوه جوف البلاد، وقرمونة كانت من نصيب بني برزال[٤] ولما بلغ عبد الله بن برزال[٥] تقديم علي والقاسم ابني حمود الإدريسي دخل على الخليفة سليمان الظافر وقال له: (يا أمير المؤمنين بلغني أنك وليت بني حمود العلويين على المغرب! قال: نعم. قال أليس العلويون طالبيين؟! قال نعم. قال: تأتي إلى أحناش تردهم ثعابين! قال: نفذ الأمر في ذلك)[٦].

وبهذا الأمر بدأ تاريخ الدولة الحمودية في الأندلس.

«رأي ذهل عنه ونبذها إلى ضدله[٧] مكاشح شريك في الدعوة والقرابة».

---

(١) ابن حزم ١/ ١٩٧، البيان المغرب ٣/ ١١٣، نفح الطيب ١/ ٤٠٦، معجب ٤٣.
(٢) ابن خلدون ٤/ ١٥١.
(٣) البيان المغرب ٣/ ١١٣ و ١١٤ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥١ ـ ابن حزم ١/ ١٩٨ ابن الأثير ٧/ ٢٨٤، بغية الملتمس ص ٢٤ ـ الذخيرة ٣٨ و ٣٩ ـ معجب ٤٣.
(٤) نفح الطيب ١/ ٤٠٥. ويورد توزيعاً آخر للقبائل. اعمال الاعلام ص ١١٩. ابن خلدون ٤/ ١٥١.
(٥) عبد الله بن برزال أحد زعماء بني برزال البربر وقد ولاه سليمان مدينة ترمونة.
(٦) البيان المغرب ٣/ ١١٤ ـ اعمال الاعلام ص ١٢٨ و ١٢٩.
(٧) الذخيرة ص ٣٨٥.

ينتسب الحموديون إلى حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)[1]. وبالرغم من هذا النسب الشريف وهذه الأرومة الطيبة العربية الأصيلة، فإنهم في الواقع يعودون من حيث العصبية والمصير والمنشأ إلى البربر إذ كانوا بعد سقوط دولتهم في المغرب اختلطوا بالبربر في بلاد غمارة وأصبحوا منهم[2] وخاصة أنهم يمتون من حيث الخؤولة إلى بربر أوربا في وليلي هم أخوال جدهم إدريس الثاني. وتعصب لهم الكثير من البربر وأطاعوهم، إذ كانوا يعتبرون الأدارسة من لفيفهم ويتشيعون لهم[3]. وهذا ما شجع الحموديين على التطلع إلى الخلافة معتمدين على عصبيتهم الجديدة من البربر وكانت حال الأندلس المضطربة وفقدان هيبة الخلافة واستئثار البربر بالأمر وضعف السلطة المركزية وانتشار الفوضى مناسبات يمكن اغتنامها للوصول إلى حكم الأندلس، ولا بد للطامحين إلى الخلافة من التمتع بشروطها وخاصة النسب القرشي. والحموديون هم الوحيدون المؤهلون لهذه المهمة خاصة وأنهم أحفاد الرسول محمد ﷺ. وكان علي بن حمود والي سبتة من قبل المستعين الأموي يطمح إلى أكثر من ولاية ثغر أو مدينة، كان يتطلع إلى الخلافة، وإلى القضاء على الدولة الأموية في الأندلس[4].

بدأ علي بالبحث عن الحلفاء والأنصار لبلوغ مرامه، وكان في الأندلس فريقان يقرران مصير خلافتها البربر والفتيان العامريون من الصقالبة. بالنسبة للبربر كان الأمر محسوماً لصالحه كما بينت سابقاً، إذ

---

(١) جذوة الاقتباس ص ٥٠ ـ البيان المغرب ٣/ ١١٩ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥٣ ـ ابن حزم ١/ ١٩٧ ـ اعمال الاعلام ص ١١٨ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٤.

(٢) ابن خلدون ٤/ ١٥٣.

(٣) ابن خلدون ٤/ ١٥٣.

(٤) ابن الأثير ٧/ ٢٨٤. بغية الملتمس ص ٢٤.

كانوا يشعرون بأن فوز علي بن حمود بالخلافة انتصار لهم فهو من عصبيتهم نشأة ومصيراً. أما الفريق الآخر وهم الفتيان العامريون، فكان يرى فيهم حلفاءه الطبيعيين إذ أنهم خصوم الخليفة الأموي سليمان الظافر وخاصة خيران وهو أحد قادتهم البارزين وكان قد استقر بشرق الأندلس واستولى على المرية ومرسية، وكان من مؤيدي الخليفة هشام المؤيد بن الحكم المستنصر، وقد دعا له في المناطق التي سيطر عليها[١]. راسله علي وأظهر له كتاباً تلقاه من الخليفة المؤيد هشام المحاصر في قرطبة من قبل سليمان الظافر [٢] يوليه فيه عهده ويطلب منه إنقاذه من أعدائه: (ذلك أن هشام لما رأى ما آلت إليه الأمور في دولته قد منح علي بن حمود ولاية عهده وأوصى إليه بالخلافة من بعده وأرسل إليه ذلك بسبتة سراً وولاه طلب دمه واستكتمه السر حتى يحين الأوان لذلك)[٣]. وسواء كان هذا الأمر صحيحاً أم ادعاء، فالحاكم مهما كان يتمتع بقوة فإنه يبحث عن الوسيلة الشرعية لتدعيم سلطته أمام رعيته.

ولكن عين سليمان الظافر لم تكن غافلة عما يجري حوله، فبالرغم من أنه هو الذي ولى الحموديين المغرب فإنه أخذ يخشى طموح علي بن حمود فبث حوله العيون والجواسيس لمراقبة تحركاته، فكلف قاضي سبتة محمد بن عيسى والفقيه ابن يربوع بهذه المهمة[٤]. وبلغ الخبر علي بن حمود وهو يستعد لتنفيذ مخططه للاستيلاء على السلطة، فأمر بقتلهما سنة ٤٠٤هـ/ ١٠١٤م[٥] وأعلن الدعوة لنفسه.

---

(١) ابن الأثير ٧/ ٢٨٤. الذخيرة ٤١.

(٢) جذوة الاقتباس ص ٥٠ ـ البيان المغرب ٣/ ١٢٠ ـ ابن حزم ١٩٨/ ١ ـ بغية الملتمس ص ٢٤.

(٣) البيان المغرب ٣/ ١١٤ ـ جذوة الاقتباس ص ٥٠ ـ اعمال الاعلام ص ١٢١. ابن الأثير ٧/ ٢٨٤.

(٤) البيان المغرب ٣/ ١١٥ ـ اعمال الاعلام ص ١٢١.

(٥) البيان المغرب ٣/ ١١٥ ـ اعمال الاعلام ص ١٢١.

شاعت في الأندلس دعوة علي بن حمود فأيدها حكام الثغور المعارضين للخليفة سليمان الظافر وعلى رأسهم عامر بن فتوح الفائقي[1]. وكتب إليه كذلك خيران العامري يدعوه إلى الأندلس لتولي الأمر فيها بعد أن أرسل إليه الكتاب المرسل من الخليفة هشام المؤيد[2] لإنقاذها من الحالة المتردية التي وصلت إليها. وقام الشعراء بدعوته كذلك منهم ابن دراج القسطلي[3] فنظم قصيدة يصور فيها حال الأندلس المتردية ويدعوه فيها إلى الجواز إليها.

لقد اكسبت هذه الدعوات والنداءات علي بن حمود قوة وشرعية. فمن حيث القوة، الفتيان العامريون يسيطرون على أكثر ثغور الاندلس فازداد قوة بانضمامهم إليه. وكذلك من الناحية الشرعية فهم من مؤيدي الخليفة هشام المؤيد بن الحكم وهو الخليفة الشرعي، وكل من ادعى الخلافة أثناء حياته هو مغتصب لها من صاحبها الشرعي في نظرهم.

لبى علي بن حمود الدعوة، إذ رأى ان حكم الأندلس مفتوحاً أمامه. عبر المضيق من سبتة إلى الجزيرة الخضراء أواخر ٤٠٦هـ/ ١٠١٦م وسار إلى مالقة وفيه عامر بن فتوح مولى فائق[4] فأطاعه وسلمه المدينة فدخلها علي وتملكها[5]. وكان خيران قد سار في قواته والتقى بعلي في ثغر المنكب الصغير ما بين مالقة والمرية وبايعه على طاعة هشام المؤيد. وأعلن علي أن هدفه من العملية نصرة الخليفة هشام[6]، فانضم إليه جماعة من المؤيدين للخليفة[7]. وهناك نظم القائدان قواتهما ووضعا الخطة

---

(١) جذوة الاقتباس ص ٥٠. ابن الأثير ٧/ ٢٨٤ ـ بغية الملتمس ص ٢٤.

(٢) البيان المغرب ٣/ ١١٦ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٤. بغية الملتمس ص ٢٤.

(٣) ديوان ابن دراج القسطلي طبعة سنة دار .

(٤) جذوة الاقتباس ص ٥٠ ـ ابن حزم ١/ ١٩٨ ـ الذخيرة ٤١.

(٥) جذوة الاقتباس ص ٥٠ ـ بغية الملتمس ص ٢٤.

(٦) البيان المغرب ٣/ ١٢٠ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٥.

(٧) البيان المغرب ٣/ ١٢٠.

للزحف على قرطبة. سارت القوات نحو العاصمة للاستيلاء عليها، وأخذ عددها يزداد بانضمام المؤيدين لعلي بن حمود. فقد انضم إليه أثناء الزحف زاوي بن زيري وحبوس بن ماكسن الصنهاجي مع إخوته وأقاربه الصنهاجيين[١].

كانت أخبار القوات الزاحفة قد بلغت سليمان الظافر الأموي فخرج ابنه محمد من قرطبة للقائهم، والتقى الفريقان على مسافة عشرة فراسخ من العاصمة[٢]، ونشبت معركة شديدة انتهت بانتصار علي بن حمود وهزيمة محمد بن سليمان الظافر الذي وقع في الأسر مع والده الحكم وأخيه عبد الرحمن وذلك نهار الأحد محرم ٤٠٧هـ/ حزيران ١٠١٦م[٣]. ودخل علي بن حمود قصر قرطبة ويبحث عن الخليفة هشام فلم يجده. وكان الاعتقاد السائد في قرطبة أن سليمان أخفاه ولم يقتله. ولكن بعد أن تبين أنه قتله إذ أمر علي بن حمود بإخراجه من القبر وعرضه على الشهود فشهدوا بأنه هشام طلب باحضار الأسرى سليمان وأبيه وأخيه وطلب من سليمان هشاماً فأجابه بأن ابنه محمد قد قتله مع الوزير أحمد بن يوسف الدب[٤]. عندئذ قتلهم بيده ثأراً للخليفة القتيل هشام، وقال بلهجة بربر زناته «الزلطان يقتل الزلطان»[٥] وذلك أمام حشد من البربر والأندلسيين[٦] وأخرج رؤوس القتلى الثلاثة ووضعهم في طست وأمر بإخراجها من مكانها إلى القصر ينادي عليها: هذا جزاء من قتل هشاماً[٧]، وقد علقت رقاع

---

(١) البيان المغرب ٣/ ١٢٠ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٥. لم يذكر الأسماء.

(٢) ابن الأثير ٧/ ٢٨٥ ـ معجب ٤٤.

(٣) الجذوة ص ٥٠ ـ نفح الطيب ٤٠٦ ـ المغرب ص ١٣٣ ـ اعمال الاعلام ص ١٢١ ـ بغية الملتمس ص ٢٥ ـ البيان المغرب ٣/ ١٢٠ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥٢ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٥.

(٤) البيان المغرب ٣/ ١١٧ ـ الذخيرة ٤١.

(٥) اعمال الاعلام ص ١٢١ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٥ ـ معجب ٤٤.

(٦) البيان المغرب ٣/ ١١٧.

(٧) اعمال الاعلام ص ١٢١. الذخيرة ٤٢.

بآذانهم تحمل أسماءهم وفي أعلاها رأس الوزير أحمد بن الدب[1] وذلك إرضاء لحلفائه البربر الذين أيدوه على طاعة المؤيد، فبهذا العمل يكون قد تخلص من منافسه القوي الخليفة الأموي سليمان.

كان ذلك نهار الأحد ٢٨ محرم ٤٠٧هـ/ أول تموز ١٠١٦م.

وبقتل سليمان ظهر علي بن حمود وكأنه حامي الشرعية في الأندلس والمدافع عنها وبذلك يكون قد مهد الطريق لنفسه لتولي الخلافة على أنه ولي عهد الخليفة القتيل هشام المؤيد.

بعد مقتل سليمان أعلن علي بن حمود وفاة الخليفة هشام المؤيد رسميا. ودعا إلى بيعته فبويع بالخلافة[2] بباب السدة من قصر قرطبة في اليوم التالي لمقتل سليمان. ولم يتخلف عن بيعته أحد وتلقب بالناصر[3].

هكذازالت دولة بني أمية من الأندلس بعد أن عاشت منذ دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام حتى مقتل المستعين ٢٦٨ مئتين وثمان وستين سنة، أنهاها الهاشميون الحموديون الخصوم التقليديون للأمويين. وتربع على عرش قرطبة الخليفة الحمودي علي.

بدأ الخليفة الجديد بوضع حد للفوضى والفتن، فقد تشدد في معاملة البربر الذين كانون يجنحون إلى التمرد والشغب بالرغم من أنهم أيدوه وطلبوا منه العبور إلى الأندلس وكانوا القوة الرئيسة في جيشه. ولكن السيفان لا يجتمعان في غمد واحدة فلا بد من حاكم واحد لسلطة واحدة. والحاكم لا يرضى أن يقاسمه السلطة أحد. من هنا بدأ الصراع بين الخليفة وبين حلفائه السابقين من البربر. فالبربر كانوا يريدون الإبقاء على حالة

---

(١) البيان المغرب ٣/ ١١٧.

(٢) ابن خلدون ٤/ ١٥٣. الذخيرة ٩٧.

(٣) نفح الطيب ٤٠٧ ـ البيان المغرب ٣/ ١١٩ ـ جذوة الاقتباس ١/ ٥٢ ـ بغية الملتمس ص ٢٧. معجب ٤٩.

الفوضى التي عاشوها منذ سقوط دولة العامريين وقد استمرأوا هذه الحالة، فكانوا يدعمون خليفة ضد خليفة آخر طبقاً لما تقتضيه مصلحتهم، ثم يعودون فينقلبون على من أوصلوه إلى الحكم. لذلك عمل الخليفة الجديد على تقوية السلطة المركزية، واستعمل الشدة والقوة مع العصاة وفتك بالمعارضين من عرب وبربر[1] حتى خشوا من سلطته خاصة الجنود البربر، حتى تبين أنهم أطوع الناس لمن يستعمل الشدة معهم[2]. وتقرب من سكان قرطبة[3] أحسن معاملتهم وأقام العدل، فتح باب قصره لهم وسار فيهم سيرة الخلفاء الراشدين حتى أصبح دانيهم يقاضي كبيرهم في قرطبة وخاصة كبار البربر، فتجري الأحكام عليهم دون محاباة أحد من أعيان الدولة[4]. كان يجلس لمظالم الناس فاتحاً بابه أمام الرعية مرفوع الحجاب يقيم الحدود بنفسه وفق أحكام الشريعة الإسلامية ولا يجرؤ أحد على مخالفته بذلك[5]. ومن الأمثلة على إقامة الحدود بنفسه أن جماعة من قادة البربر اعتدوا على مواطنين آمنين فأمر الخليفة بضرب أعناق الجناة أمام وجوه قبائلهم وهم ينظرون إليهم ولا يجرأون على طلب الشفاعة لهم. وقد ضرب عنق رجل بربري لأنه سلب مواطناً حمل عنب، وأمر بان يطاف برأسه في العاصمة[6].

بفضل هذه السياسة السمحاء أمن أهل قرطبة على أنفسهم وأملاكهم فعادوا إلى مباشرة أعمالهم وهم ينعمون بالأمن يشجعهم على ذلك عدل الخليفة[7]. واتخذ كذلك كبار سكان قرطبة أعواناً له مثل أبي الحزم بن

---

(١) اعمال الاعلام ص ١٢٩.
(٢) البيان المغرب ٣/ ١٢٢ ـ الذخيرة ٩٧.
(٣) البيان المغرب ٣/ ١٢٢ ـ اعمال الاعلام ص ١٢٩.
(٤) البيان المغرب ٣/ ١٢٣.
(٥) البيان المغرب ٣/ ١٢٣ ـ اعمال الاعلام ص ١٢٩ ـ الذخيرة ٩٨.
(٦) البيان المغرب ٣/ ١٢١ ـ الذخيرة ٩٨.
(٧) اعمال الاعلام ص ١٢٩.

جهور واحمد بن برد، وعين على القضاء ابن الحصار[١].

على أن الأمور سارت عكس ما تشتهي السفن. فقد خشي الفتيان العامريون من سطوة الخليفة الحمودي فانقلبوا عليه حسب عادتهم في التقلب[٢].

ذلك ان خيران العامري كان يأمل عند دخول قرطبة مع علي بن حمود أن يجد الخليفة الأموي هشام المؤيد حياً، فلما أيقن من وفاته تخوف من سطوة الخليفة الحمودي الناصر واستراب منه وحذره. وعلم الخليفة بذلك وأراد قتله[٣]، ففر من قرطبة إلى شرق الأندلس حيث العامريون وأنصارهم الذين أعادوا الدعوة للأمويين من جديد بشخص عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر[٤] الذي كان قد هرب من قرطبة عند سقوطها بيد علي بن حمود، إلى جيان. استدعاه خيران وبايعه مع الفتيان العامريين وأنصارهم بالخلافة ولقبوه بالمرتضى[٥] وانضم إلى حركة التمرد الجديدة المنذر بن يحيى التجيبي وابن ذي النون وزهير العامري[٦]. فلما آنس المرتضى الأموي القوة من نفسه أعلن الثورة وسار بقواته إلى غرناطة[٧] يريد الاستيلاء عليها وأميرها يومئذ زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي[٨].

---

(١) البيان المغرب ٣/ ١٢٣.
(٢) جذوة الاقتباس ص ٥٢.
(٣) البيان المغرب ٣/ ١٢١ و ١٢٢ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٠ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٥.
(٤) جذوة الاقتباس ص ٥٢ ويسمي عبد الله مكان عبد الملك الاعلام ص ١٣٠. ابن الأثير ٧/ ٢٨٥.
(٥) جذوة الاقتباس ص ٥٢ ـ معجب ٥٠ البيان المغرب ٣/ ١٢٢ ـ رسائل ابن حزم ١/ ٢٦٢ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٥ ـ بغية الملتمس ٢٧.
(٦) اعمال الاعلام ص ١٣٠.
(٧) اعمال الاعلام ص ١٣٠ ـ جذوة الاقتباس ص ٥٢ معجب ٥٠ ـ الذخيرة ٤٠٩.
(٨) اعمال الاعلام ص ١٣٠ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٥.

أما سكان قرطبة فإن سياسة الناصر الحكيمة التي اتبعها معهم مدة ٨ أشهر لم ترضهم، إذ أحس منهم الميل إلى المرتضى الأموي[١] فأيقن أن سياسة التقرب منهم لم تجد نفعاً فانقلب عليهم، جردهم من سلاحهم وأغرمهم ضروب المغارم وزج بوجهائهم في السجون وسلط عليهم أشرارهم وعاملهم معاملة قاسية. وعزم على اخلاء قرطبة وإبادة سكانها ولا يكون فيها خليفة من المروانيين[٢]. فاضطر القرطبيون إلى لزوم بيوتهم في النهار، وقلما كان يخرجون منها حتى خلت الأسواق من الناس وكانوا ينتظرون المساء للخروج من منازلهم لقضاء حاجاتهم تحت جنح الظلام[٣].

لقد جنى سكان قرطبة على أنفسهم، وجروا عليهم هذه السياسة القاسية بعد أن رفضوا سياسة العدل.

عاد الخليفة الناصر الحمودي إلى التقرب من حزبه البربري وآثره على غيره وأطلق يد أنصاره في العاصمة يسومون سكانها ضروب الظلم والتعسف انتقاماً وتشفياً[٤].

وشرع في الاستعداد للقاء الثائر الأموي المرتضى الذي زحف نحو غرناطة. ولكن القدر كان له بالمرصاد إذ تآمر عليه ثلاثة من فتيانه الصالقبة هم منجح وصاحباه لبيب وعجيب[٥] وكانوا من أنصار الأمويين إذ سدوا باب الحمام عليه وقتلوه، وتسللوا دون أن يشعر بهم أحد. ولما استطال نساؤه بقاءه في الحمام دخلوا عليه ألفوه قتيلاً والدم يسيل

---

(١) البيان المغرب ٣/ ١٢١.

(٢) الذخيرة ٩٩.

(٣) البيان المغرب ٣/ ١٢٣ ـ الذخيرة ١٠٠.

(٤) البيان المغرب ٣/ ١٢٣.

(٥) البيان المغرب ٣/ ١٢٢ ـ المغرب ص ١٣٣ ـ الذخيرة ١٠١ ـ المعجب ٥٠ ـ نفح الطيب ١/ ٤٠٧ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٦ لم يذكر الأسماء.

منه[١]، وكان ذلك نهار السبت ٢ ذي القعدة ٤٠٨هـ/ ٢٣ آذار ١٠١٨م[٢] وله من العمر خمس وخمسون سنة. وقد مدحه الشعراء منهم ابن دراج القسطلي[٣].

استدعى أنصاره أخاه القاسم من اشبيلية[٤]. خاف القاسم من أن يكون من الأمر حيلة، فبعث بعض أعوانه المخلصين للاطلاع على حقيقة الأمر، ولما تيقن من ذلك توجه إلى قرطبة[٥].

---

(١) اعمال الاعلام ص ١٢٩ ـ جذوة الاقتباس ص ٥٣. ابن خلدون ٤/ ١٥٣.

(٢) جذوة الاقتباس ص ٥٣ ـ الذخيرة ١٠١.

(٣) البيان المغرب ٣/ ١٢٤.

(٤) اعمال الاعلام ص ١٢٩ ـ الذخيرة ١٠١.

(٥) البيان المغرب ٣/ ١٢٢.

الفصل الثاني
القاسم بن حمود

كان القاسم والياً على الجزيرة الخضراء، منذ عهد المستعين الأموي، انتقل إلى قرطبة بعد مقتل أخيه علي، بويع بالخلافة نهار الثلاثاء ٨ ذي القعدة ٤٠٨هـ/ ٢٩ آذار ١٠١٨م[١] وكان له من العمر ٦٥ سنة تلقب بالمأمون كان شيعياً[٢] اخرج جسد أخيه صلى عليه ثم أرسله آلى سبتة حيث دفن. أول عمل قام به محاكمة الذين اغتالوا أخاه الخليفة علي، قبض على اثنين من القتلة، فقتلا وصلبا. ولم يثبت التحقيق معهما اشتراك غيرهم في الجريمة فهدأت الأحوال[٣]. بعد أن تلقى البيعة سار في الرعية سيرة حسنة[٤]، أحسن استقبالهم وأمنهم، تبرأ ممن يعتدي عليهم، أسقط ما كان أخوه قد فرضه عليهم عندما شعر بمليهم إلى الأمويين. ثبت الحكام والقاضي في مراكزهم، اتخذ بطانه من السودان وأسند إليهم أعماله[٥].

أول أمر مهم اعترضه بعد أن تولى الخلافة تمرد المرتضى الأموي في

---

(١) اعمال الاعلام ص ٢٩ ـ البيان المغرب ٣/ ١٣٠ ـ رسائل ابن حزم ١/ ٣٨، ٢٦٣ ابن خلدون ٤/ ١٥٣.

(٢) جذوة الاقتباس ص ٥٣ ـ نفح الطيب ص ٤٠٧ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٦.

(٣) اعمال الاعلام ص ١٢٩ ـ البيان المغرب ٣/ ١٣٠ ويذكر أنه قتل الثلاثة.

(٤) جذوة الاقتباس ص ٥٣ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٦.

(٥) البيان المغرب ٣/ ١٣٠ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٠ ـ الذخيرة ١٠١.

شرق الأندلس، وقد زحف على غرناطة بجيش من العرب والنصارى[(١)] وكان أميرها زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي[(٢)] أرسل المرتضى الأموي إلى زاوي كتاباً يدعوه فيه إلى الطاعة والبيعة[(٣)]. فلما قرىء الكتاب عليه أمر كاتبه بأن يكتب على ظهره السورة الكريمة: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين﴾. وأرسله إلى الخليفة الأموي الذي قرأه وأعاده إلى زاوي وفيه تهديد ووعيد. فكان رد زاوي السورة الكريمة: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون. كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذٍ عن النعيم﴾[(٤)]. فازداد المرتضى غيظاً ويئس منه. ونشب القتال بين الفريقين أياماً انتهى بمقتل المرتضى الأموي وفرار أعوانه من المعركة وخيل زاوي تطاردهم[(٥)]. وغنم الصنهاجيون معسكر المرتضى بما فيه من العتاد والخيل وفساطيط الأمراء ومضارب الرؤساء، من بينها سرادق المرتضى الخاص. وقد غنم الجيش الصنهاجي غنائم كثيرة بعد انتصاره، فكانت حصة الفارس عشرة أبغال موقرة، إذ كان جيش المرتضى قد أتى إلى المعركة ومعه ما يملك الأمراء لأنهم كانوا واثقين من النصر[(٦)]، فكانت الهزيمة. كان أول المنهزمين من معسكر المرتضى منذر بن يحيى وخيران العامري[(٧)]. ذلك أن

---

(١) البيان المغرب ٣/ ١٢٦. الذخيرة ١٠٢.

(٢) اعمال الاعلام ص ١٣٠ ـ جذوة الاقتباس ص ٥٢ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٧ ـ Dozy p 5.

(٣) اعمال الاعلام ص ١٣٠ ويذكر: كان بينه وبين القوم محاورات. البيان المغرب ص ١٢٦.

(٤) البيان المغرب ٣/ ١٢٦.

(٥) جذوة الاقتباس ص ٥٣ ـ اعمال الاعلام ص ١٣١ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٥.

(٦) البيان المغرب ٣/ ١٢٦ ـ الذخيرة ٤٥٤.

(٧) البيان المغرب ٣/ ١٢٦ ـ الذخيرة ٤٥٤.

المرتزقة الإسبان كانوا قد حذروا منذراً من غدر الموالي العامريين، ففت ذلك في رجاله، فلما تراجع من المعركة مع جيشه لم يعرف أحد السبب[٦]. ومر بسليمان بن هود وحرضه على الفرار ثم تبعهم خيران[١] وبقي المرتضى ـ رغم جبنه ـ يقاتل مع العامريين الذين صمدوا قليلاً في المعركة، ثم فروا بعد أن كثر فيهم القتل[٢] وتركوه وحيداً عندئذٍ خاف أن يقع في الأسر فولى هارباً. وكان خيران قد بث عيوناً حوله فلحقوا به قرب وادي آش[٣] وقتلوه بعد أن أمنوه على نفسه[٤]، وحملوا رأسه إلى خيران ومنذر وقد لحقا بالمرية ومعهما الرأس[٥]. ونجا من تلك المعركة أخوه أبو بكر بن هشام الذي التحق بالفتيان العامريين، ثم انتقل إلى حصن البونت واستقر عند صاحبه ابن قاسم بعد أن شعر أن الفتيان العامريين متضايقون منه، وكان ابن قاسم من أنصار الأمويين فأكرم وفادته وأجاره. وبقي أبو بكر مقيماً في البونت حتى مبايعته بالخلافة فيما بعد[٦]. وقد علق ابن عذاري على هذه المعركة لأنها كانت رهيبة على الأندلسيين (مصيبة أنست ما قبلها، ولم يجتمع لهم جمع بعد وأقروا بالإدبار وباؤوا بالصغار)[٧]. وقد انهارت دولة المروانيين الأمويين في الأندلس وقتل من ظهر منهم بأقاصي الأنـدلس وزهد الناس من دولتهم وتفـرق من بقي منهم في أنحاء الأندلس، (وامتهنوا وأهينوا) ودخلوا في عداد الناس[٨].

---

(١) البيان المغرب ٣/ ١٢٦.

(٢) البيان المغرب ٣/ ١٢٧.

(٣) وادي آش يقع بالقرب من مدينة غرناطة. الذخيرة ٤٥٥.

(٤) جذوة الاقتباس ص ٥٣ ـ نفح الطيب ١/ ٤٠٧.

(٥) البيان المغرب ٣/ ١٢٧ الذخيرة ٤٥٥.

(٦) البيان المغرب ٣/ ١٢٧ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٥. ويسميه باسم هشام.

(٧) البيان المغرب ٣/ ١٢٧ ـ الذخيرة ٤٥٥.

(٨) البيان المغرب ٣/ ١٢٧ ـ الذخيرة ٥٥٦ في غمار الناس.

أرسل زاوي بن مناد كتاباً إلى الخليفة الحمودي القاسم يشرح فيه سير المعركة ويزفه البشرى بمقتل المرتضى الأموي وهزيمة الأندلسيين ومع الكتاب سهمه من الغنائم ومعه سرادق المرتضى[١].

سر القاسم بذلك وضرب السرادق على نهر قرطبة ليراه الناس الذين توافدوا لمشاهدته وهم بين مسرور ومحزون[٢]. وقد حدثت هذه المعركة سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م[٣].

وهنأ الشعراء القاسم بمقتل المرتضى الأموي[٤]:

لك الخير خيران مضى لسبيله	وأصبح ملك الله في ابن رسوله
وقام لواء الدفع فوق ممنع	من النصر جبريل أمام رعيله
وأشرقت الدنيا بنور خليفة	به لاح بدر الحق بعد أفوله
ولما دعا الشيطان في خيل حزبه	وأقبل حزب الله فوق خيوله
كتائب من صنهاجة وزناته	تضايقن في عرض الفضاء وطوله
تقدم خيران إليها بزعمه	ليدرك ما قد فاته من دخوله
فأحجم تحت النقع والخيل تدعي	كما ازدلف الليث الهزبر لقيله
وولى وألقى منذر من ورائه	يقيم لأهل العذر عذر نكوله

كان من نتائج هذه المعركة أن زاوي بن زيري الصنهاجي الذي أحرز النصر على المرتضى الأموي والأندلسيين، صمم على مغادرة الأندلس إلى أفريقية، فأرسل يستأذن ابن عمه المعز بن باديس[٥] في العودة. فأذن له بذلك. ورحب بذلك أيضاً بنو عمه الصنهاجيون في

---

(١) اعمال الاعلام ص ١٣١. الذخيرة ٤٥٦.

(٢) اعمال الاعلام ص ١٣٦ ـ البيان المغرب ٣/١٢٨.

(٣) اعمال الاعلام ص ١٣١.

(٤) البيان المغرب ٣/ ١٢٩.

(٥) الذخيرة ٤٥٨.

القيروان. وغادر الأندلس سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م من ثغر المنكب على مجموعة من سفنه محملة بذخائر الأموال. واستقر في القيروان في كنف ابن عمه المعز عزيزاً مكرماً حتى مماته[(١)].

وسبب مغادرة زاوي الأندلس تعود إلى أنه أحرز كثيراً من الغنائم والأموال أيام الفتنة[(٢)]. وتخوف من كر الأندلسيين عليه. إذ أن النصر الذي أحرزه على المرتضى لم يكن لتفوقه عليه بالعدة والعدد، وإنما لتخاذل أصحابه وأنصاره وفرارهم من المعركة بدون قتال[(٣)]. (إن انهزام من رأيتموه لم يكن عن قوة منا، إنما مع القضاء غدر ملوكهم لسلطانهم ليهلكوه كما فعلوا. فإني رأيت ذلك من يوم نزولهم. ولذلك كنت أقوي أنفسكم. وقد نجانا الله منهم، ومضى القوم ولم يقدموا إلا رئيسهم واستخلافه هين عندهم. ولست آمن عودهم حملة إليكم فيما بعد، فلا يكون لنا قوام بهم. فالرأي الخروج عن أرضهم واغتنام السلامة مع إحراز الغنيمة والرجوع إلى الجملة التي انفصلنا عنها كانفين للعيال والذرية مباعدين لما وراءنا من زناتة أعدائنا الذين لا يغفلون عنا لا سيما وقد فرقنا قومهم ونبشنا أحقادهم المدفونة بيننا، فإن فرغوا لنا على قلة عددنا أو ظاهروا علينا الأندلس وقعنا منهم بين لحيي أسد فاصطلمونا وها أنا قد أديت لكم النصيحة وأنا راحل عن الأندلس. فمن أطاعني فليرحل معي)[(٤)].

وعندما قتل علي بن حمود سليمان بن الحكم الأموي، طلب زاوي من الخليفة الحمودي رأس المستعين ثأراً لرأس والده زيري المهدى لبني أمية سابقاً، فأعطاه إياه علي، وقد نقله معه إلى افريقيا مفتخراً به ومظهراً لأهل بيته بأنه ثأر لوالده[(٥)].

---

(١) اعمال الاعلام ص ١٣١.
(٢) البيان المغرب ٣/ ١٢٩.
(٣) اعمال الاعلام ص ١٣١.
(٤) البيان المغرب ٣/ ١٢٩.
(٥) البيان المغرب ص ١٢٩.

بعد مضي أربع سنوات على خلافة القاسم، تسرب الضعف إلى دولته إذ انقلب عليه رؤساء البربر وأمراء الثغور والفتيان العامريون[١]. وهم على عادتهم في التقلب والانتقال من مبايعة خليفة إلى آخر لأنهم ليسوا من الذين يتحملون المسؤولية في تلك المرحلة الصعبة ويعتبرون أنفسهم كذلك صانعي الخلفاء.

أرسل القاسم سراً كتاباً إلى منذر بن يحيى صاحب سرقسطة يطلعه على الأمر ويستنهضه للوقوف إلى جانبه، لكن المنذر لم يستجب لطلبه[٢].

ثم هبت رياح الثورة عليه من أقرب المقربين إليه الذين كان من المفترض أن يكونوا عوناً له ودرعاً لتثبيت الدولة الهاشمية في الأندلس التي قامت بعد تخطيط دقيق ومغامرة. فقد ثار عليه إبنا أخيه علي الذي أسس الدولة، يحيى حاكم سبتة وإدريس حاكم مالقه، وكانا يظهران الولاء لعمهما[٣]، فكانا قد بايعاه سنة ٤١٠هـ/[٤]، وطلبا منه التنحي عن الحكم، واتصل بيحيى الشاعر ابن دراج القسطلي وأرسل إليه قصيدة يدعوه فيها إلى الجواز إلى الأندلس[٥].

استقر يحيى بمالقه[٦] بعد أن جاز المضيق.

واستخلف أخاه إدريس على سبتة[٧]. وجهز يحيى جيشاً من أنصاره البربر وتوجه نحو قرطبة للاستيلاء عليها وطرد عمه منها. استنجد الخليفة

(١) اعمال الاعلام ١٣٠ ـ الذخيرة ٤٨١.
(٢) البيان المغرب ١٣٠.
(٣) نفح الطيب ١/ ٤٠٧ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥٣ ـ جذوة الاقتباس ٥٣.
(٤) الذخيرة ٤٨١.
(٥) ديوان ابن دراج القسطلي ص ٥٢٨ ـ ٥٢٩.
(٦) المعجب ص ٥٠ ـ بغية الملتمس ص ٢٨.
(٧) اعمال الاعلام ص ١٣١ ـ نفح الطيب ١/ ٤٠٧ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٦.

القاسم برؤساء البربر، ولكنهم تقاعسوا عن نجدته[1]. بل عملوا على زيادة الشقاق بين الحموديين[2] ولما عجز القاسم عن المقاومة غادر قرطبة إلى إشبيلية في ربيع الآخر ٤١٢هـ/ ١٠٢٢م واستقر بها وبايعه القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد[3]. دخل يحيى مدينة قرطبة وتلقى البيعة فيها نهار الاثنين مستهل جمادي الأول ٤١٢هـ/ ١٠٢٢م وتلقب بالمعتلي بالله[4]. التف حوله العرب والبربر أقر أصحاب الخطط على مراتبهم[5] فعلى الكتاب أحمد بن برد وعلى الوزارة أبا عمر بن موسى اليماني ومحمد بن العرضي وسما أبو بكر بن ذكوان وأخوه أبو العباس إلى الوزارة استقر الخليفة الجديد في عاصمته وقد تصالح مع عمه القاسم. وقال في ذلك ابن حزم: (خليفتان تصالحا وهو أمر لم يسمع بأذل منه ولا أدل على إدبار الأمور يحيى بن علي بن حمود بقرطبة والقاسم بن حمود في إشبيلية[6].

سار الخليفة الجديد سيرة حسنة في الرعية. كان يتحبب إلى الناس ويجزل العطاء لمن يفد عليه ويمدحه[7]. نشر الأمن وحقق العدالة وتجنب العصبية[8].

ولكن الضعف تسرب إلى دولته وساءت أحواله فاضطر إلى مغادرة قرطبة في ١٢ ذي القعدة ٤١٣هـ/ ١٠٢٣[9]. فكانت مدة خلافته الأولى

---

(١) جذوة الاقتباس ص ٥٤ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٦.
(٢) البيان المغرب ٣/ ١٣١.
(٣) ابن خلدون ٤/ ١٥٣ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٦. ويذكر انتقاله إلى إشبيلية.
(٤) نفح الطيب ١/ ٤٠٧ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥٣ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٦.
(٥) الذخيرة ٤٨٢.
(٦) اعمال الاعلام ص ١٣١ ـ البيان المغرب ٣/ ١٣٣. ويورد صاحب الاعلام صيغة مختلفة.
(٧) البيان المغرب ٣/ ١٣٣.
(٨) أعمال الاعلام ص ١٣١.
(٩) اعمال الاعلام ص ١٣٢ ـ البيان المغرب ٣/ ١٣٣ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٦.

بقرطبة سنة وستة أشهر ونصف، خلال هذه المدة استوزر يحيى بن علي محمد بن الفرضي الكاتب الذي كان وبالاً على الدولة لأنه كان «سافلاً»[١]. وعين كاتباً أحمد بن برد. ومن الذين وصلهم جعفر بن فتح وكان من أصحابه، وإبراهيم بن الافليلي كبير أدباء قرطبة. واشتهر في أيامه أبو بكر بن ذكوان[٢].

غادر يحيى قرطبة إلى مالقه[٣] بعد أن خلعه البربر، واستدعى الثائرون الخليفة السابق القاسم من إشبيلية إلى قرطبة فدخلها نهار الثلاثاء ١٨ ذي القعدة ٤١٣هـ/ ١٠٢٤م. وأصبح يحكم قرطبة وإشبيلية وابن أخيه يحيى مالقة.

بعد سبعة أشهر من ولايته الثانية ساءت العلاقات بينه وبين سكان قرطبة بسبب تسلط حاشيته من البربر[٤]. ثار عليه القرطبيون وخلعوه بالإجماع نهار الثلاثاء ٢١ جمادي الآخرة ٤١٥هـ/ ١٠٢٥[٥] وحاصروه في القصر، فاضطر إلى مغادرته إلى الربض الغربي، وحاصره الثوار ومن معه من البربر مدة خمسين يوماً[٦] إلى أن تم لهم النصر عليه بعد هزيمة البربر. وغادر القاسم العاصمة إلى إشبيلية وفيها ولداه محمد والحسن[٧] مع الوزير محمد بن خالص لم يستقبله الإشبيليون، أغلقوا أبواب مدينتهم بوجهه ومنعوه من دخولها وأخرجوا إليه ولديه من القصر مع أنصاره من البربر

---

(١) البيان المغرب ٣/ ١٣٢.

(٢) البيان المغرب ٣/ ١٣٢ ـ مطمح الأنفس ص ٢٠٧.

(٣) جذوة الاقتباس ص ٥٥ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥٣ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٦.

(٤) اعمال الاعلام ص ١٣٣ ـ البيان المغرب ٣/ ١٣٣.

(٥) ابن خلدون ٤/ ١٥٣ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٣. Dozy C I- p 5.

(٦) البيان المغرب ٣/ ١٣٣ ـ ابن خلدون ٤/ ١٥٣ ـ ابن الأثير ٢٨٧.

(٧) جذوة الاقتباس ص ٥٤ ـ نفح الطيب ١/ ٤٠٧ ـ Dozy- p 5. الذخيرة ٤٨٥. بغية الملتمس ص ٣٠.

وكان القاسم قد طلب منهم إخلاء ألف دار للبربر أنصاره فرفضوا[1]. وقد تراس الإشبيليين القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد ومحمد بن يريم الألهاني ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي[2]. ثم انفرد محمد بن إسماعيل بن عباد بالحكم[3].

اتجه القاسم نحو الغرب واستقر في مدينة شريش استولى يحيى على الجزيرة الخضراء وكانت معقل عمه القاسم وفيها امرأته وذخائره وكذلك استولى أخوه إدريس على سبتة وطنجة. فحاصره فيها مدة عشرين يوماً ابن أخيه يحيى المعتلي بالله، ثم دخل المدينة واعتقل عمه ونقله مقيداً إلى مالقة وسجنه مع ولديه عند أخيه ادريس[4] وأوكل أمرهما إلى رجل مغربي يدعى أبو الحجاج وبقي القاسم في سجنه ومات خنقاً سنة ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م. ونقل جثمانه إلى الجزيرة الخضراء حيث دفنه فيها ابنه محمد[5].

وهكذا انتهت حياة القاسم بن حمود ودخلت الأندلس في فوضى جديدة.

---

(١) نفح الطيب ١/ ٤٠٧ ـ Dozy- p 6 ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٧.

(٢) اعمال الاعلام ص ١٣٣ ـ نفح الطيب ١/ ٤٠٧ ـ Dozy. p 5. ابن الأثير ٧/ ٢٨٧.

(٣) ابن الأثير ٧/ ٢٨٧. معجب ٥١.

(٤) بغية الملتمس ص ٣٨ ـ جذوة الاقتباس ص ٥٤ معجب ٥١ Doz VI p 5 ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٧.

(٥) نفح الطيب ١/ ١٠٧ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٣ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٧ معجب ٥١.

الفصل الثالث

عودة الأمويين إلى حكم الأندلس

عمد القرطبيون إلى إعادة الأمور إلى الأمويين، فاختاروا أفضل الأمويين في تلك المرحلة الصعبة سليمان بن عبد الرحمن[١] ولقبوه بالمرتضى كذلك. وشرعوا بأخذ البيعة له في المسجد[٢].

في هذه الأثناء هاجم المسجد - حيث المرتضى يتلقى البيعة - عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار - شقيق المهدي - في حشد من أنصاره، يحيط به أمير الدائرة محمود وغيره وكانوا مكلفين بحماية قرطبة من القاسم والبربر[٣]. ودعا لنفسه. فبايعه الحضور مكرهين، ومحوا اسم سليمان من الرق وكتبوا اسم عبد الرحمن بن هشام. كان ذلك يوم الثلاثاء ١٦ رمضان ٤١٤هـ/ك ١ ١٠٢٣م[٤]. كان قد حاول الحصول على الخلافة بعد فرار القاسم بن حمود من قرطبة، فبث دعاته وأنصاره. وتصدى لهم الوزراء وألقوا بهم في السجون ولم يخرجوا منها إلا عندما بويع صاحبهم بالخلافة[٥]. وكان سكان قرطبة قد جعلوه الثالث بعد

---

(١) اعمال الاعلام ص ١٣٤.

(٢) البيان المغرب ٣/ ١٣٥.

(٣) اعمال الاعلام ص ١٣٤ - البيان المغرب ٣/ ١٣٦.

(٤) جذوة الاقتباس ص ٥٦ - ابن الأثير ٧/ ٢٨٧.

(٥) البيان المغرب ٣/ ١٣٦.

سليمان المرتضى ومحمد بن العراقي. ولكنهم اضطروا لمبايعته لبراعته[1].

بعد أن تلقى عبد الرحمن البيعة غادر المسجد ومعه ابنا عمه سليمان المرتضى ومحمد بن العراقي وسجنهما وتلقب بالمستظهر بالله[2].

ساء هذا الأمر وجهاء قرطبة من وزراء وشيوخ. ولكنهم خضعوا للأمر الواقع وبايعوه[3]، وأخذوا منه الأمان. ولما استتب له الأمر اعتقلهم وأغرمهم الأموال وسجنهم في المطبق. ثم أطلق ابن عمران أحد المعتقلين بعد أن غير رأيه فيه[4].

وازدادت الأمور سوءاً عندما استقبل المستظهر وفداً من البربر وأكرمهم وأنزلهم في القصر[5]. فثارت العامة وقالت: «نحن الذين قهرنا البرابرة وطردناهم عن قرطبة. وهذا الرجل يسعى في ردهم إلينا وتمكينهم من نواصينا»[6]. وهاجم الثوار القصر وقتلوا من به من البربر. ولم يشعر المستظهر إلا والثوار قد استولوا على القصر. وسمع المساجين صيحات الناس فاستغاثوا بهم[7]. وحطم الثائرون الإقفال وأطلقوا السجناء. عندئذ علم عبد الرحمن المستظهر أنه مقتول لا محالة[8]. وحاصرته الجماهير الغاضبة، فحاول الخروج من باب الحمام فلم يستطع، وارتد على عقبه وترجل عن فرسه وخلع ثيابه الا من قميص يستر به جسده، واختبأ في أتون

---

(١) اعمال الاعلام ص ١٣٤. الذخيرة ٥٠.
(٢) البيان المغرب ٣/ ١٣٧ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٧. بغية الملتمس ص ٣١ معجب ٥٤.
(٣) اعمال الاعلام ١٣٤ ـ البيان المغرب ٣/ ١٣٧.
(٤) البيان المغرب ٣/ ١٣٨ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٧.
(٥) اعمال الاعلام ص ١٣٥ ـ البيان المغرب ٣/ ١٣٨.
(٦) اعمال الاعلام ص ١٣٥ ـ البيان المغرب ٣/ ١٣٨.
(٧) البيان المغرب ٣/ ١٣٨ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٧. الذخيرة ٥٣.
(٨) جذوة الاقتباس ص ٥٦.

الحمام[١]. وتبعه البربر يختبئون كذلك في الحمام وغرف القصر، وألقى الثوار القبض على أكثرهم وقتلوهم على الفور[٢].

وتمادى الثوار بتصرفاتهم السيئة كثيراً، فانتهكوا حريم الخليفة عبد الرحمن وسبوهن ونقلوهن إلى منازلهم «وجرى عليهن ما لم يجر على حرم سلطان في مدة تلك الفتنة»[٣].

وأخيراً اكتشف الثوار أمر المستظهر فاعتقل وحمل إلى محمد بن عبد الرحمن الذي بويع بالخلافة بعده فأمر بقتله على الفور وذلك نهار السبت الثالث من ذي الحجة ٤١٤هـ/ك٢ ١٠٢٤م[٤]. كان عبد الرحمن المستظهر ذكياً أديباً حسن الكلام بليغاً شاعراً. كان نسيج وحده وخاتمة فضلاء أهل بيته من سلالة الخليفة عبد الرحمن الناصر[٥].

كان الخليفة الجديد محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر قد تلقى البيعة وهو ابن إحدى وخمسين سنة، تلقب بالمستكفي بالله وقد توافق لقبه مع لقب الخليفة العباسي عبد الله الذي تلقب باللقب ذاته المستكفي[٦]. بويع بالخلافة نهار السبت ٣ ذي العقدة ٤١٤هـ.

كان بين الخليفتين ـ الأموي والعباسي ـ جامع مشترك من الصفات منها الاستظهار بالفسقة، واعتداء كل منهما على ابن عمه، وتسلط امرأة خبيثة

---

(١) البيان المغرب ٣/ ١٣٩.
(٢) البيان المغرب ٣/ ١٣٩. ابن الأثير ٧/ ٢٨٧.
(٣) البيان المغرب ٣/ ١٣٩. الذخيرة ٥٤.
(٤) اعمال الاعلام ص ١٣٥ ـ البيان المغرب ٣/ ١٣٩. معجب ٥٥ ـ ابن حزم ٤/ ٣٤٦ ـ ابن الأثير ص ٢٨٧.
(٥) اعمال الاعلام ص ١٣٥ ـ البيان المغرب ٣/ ١٣٩ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٧ ـ بغية الملتمس ص ٣٢.
(٦) البيان المغرب ٣/ ١٤٠ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٥ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٧.

على كل واحد منهما، فللعباسي حسناء الشيرازية وللأموي بنت المرورية[1]؛

ومن العجيب اتفاق الاثنين في الاخلاق والعهر، فقد عاش كل واحد اثنتين وخمسين سنة وملك سنة وخمسة أشهر[2].

اشتهر المستكفي الأموي باللهو والفسق والفجور[3] ولم يجلس في الإمارة مدة تلك الفتنة اسقط منه ولا انقص. استوزر حائكاً أحمد بن خالد قتلته العامة وخلعت الخليفة وسجنته ثلاثة أيام ثم اطلقت سراحه فلجأ إلى قرية شمنت بالقرب من مدينة سالم وعليها عبد الرحمن بن محمد بن السلم كره هذا القائد التمادي مع الخليفة المخلوع فدس إليه السم في الطعام فمات لساعته ودفن هناك[4].

---

(١) البيان المغرب ٣/ ١٤١ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٥ . الذخيرة ٤٣٣ .

(٢) البيان المغرب ٣/ ١٤١ ـ ابن حزم ٢/ ٤٧ .

(٣) اعمال الاعلام ص ١٣٥ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٧ . بغية الملتمس ص ٣٣ .

(٤) المعجب ٥٦ ـ الذخيرة ٤٣٤ .

الفصـل الرابـع
عودة الحموديين للحكم ونهاية دولتهم في الأندلس

كان يحيى بن علي بعد التغلب على عمه القاسم لم يدخل مدينة قرطبة، وعين عليها عبد الرحمن بن عطاف اليفرني[1] وأقام في مالقة يترقب الفرص للعودة إلى قرطبة. وبلغته أخبار المستكفي الأموي ونقمة العامة عليه، فتحرك نحو العاصمة للاستيلاء عليها[2]. ولما علم أهل قرطبة بتحرك يحيى الحمودي دخلوا على المستكفي وأبلغوه أنهم مضطرون للخروج لقتال يحيى وطلبوا منه الخروج معهم[3]. فتخاذل، خلعوه وبايعوا ابن عمه محمد بن العراقي[4]. فما كان من المستكفي إلا أن قتل الخليفة الجديد ابن العراقي، وعزم على الهروب من قرطبة، ارتدى ثياب امرأة وخرج متخفياً مع امرأتين، فاغتاله رجال كانوا برفقته طمعاً بالأموال في أقليج بعد سبع وعشرين يوماً من خلعه[5].

ودخل يحيى بن علي بن حمود مدينة قرطبة يوم الخميس ١٦ رمضان

(١) جذوة الاقتباس ص ٥٥ ـ نفح الطيب ١/ ٤٠٨ ـ ابن الأثير ص ٢٨٨ .
(٢) البيان المغرب ٣/ ١٤٢ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٦ .
(٣) اعمال الاعلام ص ١٣٦ .
(٤) البيان المغرب ٣/ ١٤٢ . الذخيرة ٤٣٦ .
(٥) البيان المغرب ٣/ ١٤٢ ـ الاعلام ص ١٣٦ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٨ .

٤١٦هـ/ ١٠٢٥م وبقي مقيماً فيها إلى آخر السنة[١]، ثم غادرها نهار الثلاثاء الثامن من المحرم ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م إلى مالقة وترك فيها وزيره وكاتبه أبا جعفر أحمد بن موسى ودوناس بن أبي روح[٢]، فهاجمها زهير وخيران العامريان من قبل حبوس بن ماكسن[٣]. ولما علم أهل قرطبة بوصول العامريين هاجموا البربر المقيمين فيها وقتلوهم وعددهم حوالي الألف رجل، وذلك نهاء الثلاثاء ٢٠ ربيع الأول ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م، وفر منها الوزير الحمودي أحمد بن موسى مع أخوين له ولحق بمالقه. أما دوناس فلجأ إلى غرناطة[٤].

أما الخليفة يحيى بن علي فقصد قرمونة لقتال محمد اسماعيل بن عباد[٥] وكان ابن عباد يريد القضاء عليه لأنه كان يطمع في حكم جنوب الأندلس[٦]. فوجه إلى الخليفة جيشاً بقيادة ابنه اسماعيل[٧]. وصل جيش ابن عباد إلى أحواز قرمونة وأقام الكمائن بانتظر خروج الخليفة إليهم[٨]. وصل إليه الخبر فقال: «وأبياض بختي الليلة وابن عباد زائره»[٩] وخرج لقتال الجيش القادم من اشبيلية، وكان في مقدمة الجيش ومعه ثلاثماية فارس[١٠]. وكادت الهزيمة تحل بجيش ابن عباد لولا الكمائن التي أعدها سابقاً وانهزم الخليفة وسقط صريعاً، فاحتز رأسه وأرسل إلى ابن عباد في

---

(١) اعمال الاعلام ص ١٣٦.
(٢) اعمال الاعلام ص ١٣٦ ـ البيان المغرب ٣/ ١٤٣.
(٣) اعمال الاعلام ص ١٣٦ وحبوس.
(٤) البيان المغرب ٣/ ١٤٣.
(٥) بغية الملتمس ص ٣١ ـ Dozy VI. p 9.
(٦) اعمال الاعلام ص ١٣٧ ـ Dozy VI. p 15.
(٧) Dozy VI. p 15 ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٨.
(٨) البيان المغرب ٣/ ١٨٨ ـ Dozy VI. p 15.
(٩) الذخيرة ٣١٧ ـ اعمال الاعلام اعمال الاعلام ص ١٣٧.
(١٠) البيان المغرب ٣/ ١٨٨ ـ الذخيرة ٣١٧. Dozy VI. p 15.

اشبيلية الذي أظهر السرور وعم الفرح المدينة[1]. وبقي رأس الخليفة مع رؤوس عديدة لم تدفن، إلى أن دخل المرابطون اشبيلية عندما ضموا الأندلس إلى المغرب ٤٨٤هـ/ م واكتشفوها فهالم الأمر وأرسلوا إلى من بقي من ذريتهم لدفن الرؤوس. وأعطي رأس الخليفة يحيى إلى أحفاده لدفنه[2].

بعد مصرع الخليفة تولى حكم قرمونة السودان من أنصاره. فأرسل محمد بن إسماعيل إليها محمد بن عبد الله البرزالي من وجهاء البربر، فدخلها بالحيلة واستولى على اموال ونساء الخليفة القتيل يحيى[3].

اجتمع أهل قرطبة وقرروا خلع الحموديين واعادة الأمويين من جديد[4]. وكان الذي تولى الأمر أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور[5] وذلك بشخص هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر أخ المرتضى القتيل. وكان هشام قد لجأ إلى حصن البونت مستجيراً بصاحبه عبد الله بن القاسم الفهري[6]، وبايعوه نهار الأحد ٢٥ ربيع الآخر ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م[7] وهو بالحصن المذكور، وتلقب بالمعتد بالله، وخطبوا له بقرطبة وهو غائب عنها. ثم قدم إليها ٨ ذي الحجة سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م[8].

ولم يطل الأمر للخليفة الجديد، إذ أقدم القرطبيون على خلعه نهار

---

(١) بغية الملتمس ٣٢. أعمال الاعلام ص ١٣٧ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٨ Dozy VI. p 15.
(٢) البيان المغرب ٣/ ٢٠٧.
(٣) البيان المغرب ٣/ ١٩٩ ـ Dozy VI. p 15.
(٤) جذوة الاقتباس ص ٥٦ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٧.
(٥) جذوة الاقتباس ص ٥٩.
(٦) جذوة الاقتباس ص ٥٩ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٨ معجب ٥٧.
(٧) نفح الطيب ١/ ٤٠٨ ـ البيان المغرب ٣/ ١٤٥. بغية الملتمس ص ٣٤ ـ معجب ٥٧.
(٨) اعمال الاعلام ص ١٣٨ ـ جذوة الاقتباس ص ٥٩. بغية الملتمس ص ٣٤.

الثلاثاء ١٢ ذي الحجة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م[١] بسبب سوء سيرة وزيره حكم بن سعيد المشهور بالقزاز[٢]. فقد أساء معاملة الوجهاء والرعية، فكان يأخذ أموال التجار ويعطيها للبربر وهو أمر يسيء إلى سكان قرطبة، فدسوا إليه من يريد نصحه، وكان الوزير «أطرشاً» فقرب أذنه من الناصح المتآمر فرماه عن فرسه وقتله في أحد أزقة المدينة»[٣].

وكانت المعاملة الحسنة لسكان قرطبة من الأمور المهمة لبقاء الخليفة في الحكم لجرأتهم على الثورة وتمردهم على السلطة وضعف الخلافة وعدم مقدرة أي خليفة على ضبط الأمور[٤]. وبعد أن بطشوا بالوزير خلعوا هشاماً. وكان الذي أغراهم على قتله أمية بن عبد الرحمن العراقي، وكان متهوراً سولت له نفسه الاستيلاء على السلطة. فلما قتل الوزير اجتمعت العامة حول أمية وتقدم نحو القصر[٥] وهشام مقيم فيه. فلما بلغه الخبر صعد إلى أعلى القصر ممتنعاً به، ونهبت العامة محتويات القصر إلى أن نهاهم عن ذلك الشيخ أبو الحزم بن جهور[٦].

وجلس أمية مكان هشام يشجع العامة على ابن عمه، فنصحه البعض بالفرار خشية عليه من القتل. فقال: «بايعوني اليوم واقتلوني غداً»[٧] بسبب سوء الحالة، اجتمع زعماء قرطبة من وزراء ومشايخ وأهل رأي واتفقوا على خلع الأمويين ونفيهم وإبطال رسم الخلافة[٨]. وكان الذي تولى الأمر

---

(١) البيان المغرب ٣/ ١٤٥ ـ جذوة الاقتباس ص ٦٠ ـ بغية الملتمس ص ٣٤.
(٢) اعمال الاعلام ص ١٣٨ ـ البيان المغرب ٣/ ١٤٦. ابن الأثير ٧/ ٢٩٠ ويكنى بأبي عاصم.
(٣) البيان المغرب ٣/ ١٤٦.
(٤) اعمال الاعلام ص ١٣٨.
(٥) البيان المغرب ٣/ ١٥٠ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٩٠.
(٦) البيان المغرب ٣/ ١٥٠ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٩.
(٧) البيان المغرب ٣/ ١٥١ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٩٠.
(٨) اعمال الاعلام ص ١٣٩.

أبو الحزم بن جهور شيخ قرطبة[1]، فكان هشام آخر ملوك الأمويين في الأندلس[2].

وأمر المجتمعون الخليفتين الأمويين بمغادرة قرطبة. أنزل هشام من القصر إلى الجامع المفضي إلى المقصورة محاطاً بأفراد أسرته مستغيثاً بالجماعة لحفظ حياته[3] وقال: «ليتني قرب البحر يرمونني في اللجة فيكون أخف لشاني، فافعلوا ما شئتم واحفظوني في أهلي وولدي»[4]. وطلب هشام من الحاضرين كسرة خبز لاطعام طفلة صغيرة له وكان يقيها البرد بكمه. ثم طلب سراجاً للإنارة[5].

وبات ليلته على هذه الحال حتى يقرر الوزراء مصيره، ثم أمروا بإخراجه إلى حصن ابن الشرف من غير أن يخلعوه[6]. ثم سار إلى سرقسطة وأقام عند حاكمها ابن هود حتى وفاته سنة ٤٢٧.

أما أمية بن العراقي فقد غادر القصر مكرهاً وهو يحمل على الوزراء[7] وقد اختفى في المدينة ولم يعرف عنه شيء[8].

«ونودي في الأسواق والارباض لا يبقى بقرطبة أحد من بني أمية ولا يكنفهم أحد»[9]. والذي تولى نفيهم من قرطبة أبو الحزم بن جهور[10].

---

(١) اعمال الاعلام ص ١٣٩ ـ البيان المغرب ٣/ ١٥١.

(٢) ابن الأثير ٧/ ٢٩٠ ـ بغية الملتمس ص ٣٦ ـ انقطعت الخطبة لبني أمية.

(٣) اعمال الاعلام ص ١٣٩.

(٤) اعمال الاعلام ص ١٣٩.

(٥) البيان المغرب ٣/ ١٥١ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٩.

(٦) البيان المغرب ٣/ ١٥١ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٩.

(٧) البيان المغرب ٣/ ١٥٢.

(٨) البيان المغرب ٣/ ١٥٢ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٩٠.

(٩) البيان المغرب ٣/ ١٥٢ ـ اعمال الاعلام ص ١٣٩ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٩٠ ـ جذوة الاقتباس ص ٦٠ ـ يذكر نهاية الأمويين.

(١٠) اعمال الاعلام ص ١٣٩.

ويذلك انتهت دولة الأمويين في الأندلس وزالت خلافتهم. واقتسم البلاد رؤساء الطوائف وأمراء الثغور، وزالت وحدة الأندلس وانقسمت إلى دويلات.

بعد مقتل الخليفة يحيى بن علي الحمودي حاول القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد الاستيلاء على جنوب الأندلس خاصة بعد أن تخلص من منافسه، فأرسل ابنه إسماعيل على رأس جيش كبير إلى قرمونة فحاصرها واستولى على أشونة واستجة[(١)].

وكان قد عاد إلى مالقه بعد مقتل الخليفة ابن بقنة أحمد بن أبي موسى ونجا الصقلبي واستدعيا أخاه إدريس بن علي من سبته، فجاز المضيق إلى مالقه وبايعاه بالخلافة واشترطا عليه أن يكون حسن ابن أخيه يحيى والياً مكانه على سبته[(٢)]. وبايعه كذلك حبوس بن ماكسن الصنهاجي وزهير العامري في المرية وخطب له فيها ومحمد بن عبد الله البرزالي الزناتي في حصن القصر قرب إشبيلية[(٣)]. وتعهدوا بمساعدته. ثم توجهوا إلى قرمونة وإشبيلية وأمعنوا فيهما النهب[(٤)]. ثم تفرقوا، عاد زهير إلى المرية وحبوس بن ماكسن إلى غرناطة في ذي الحجة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م. وتلقب الخليفة الجديد بالمتأيد بالله[(٥)].

في هذه الأثناء استنجد محمد بن عبد الله البرزالي بالخليفة إدريس ويصاحب غرناطة للوقوف بوجه ابن عباد الذي هاجمه[(٦)]. أرسل إليه الخليفة

---

(١) جذوة الاقتباس ص ٦٢.
(٢) بغية الملتمس ص ٣٧ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٨٨ ـ Dozy p 16.
(٣) اعمال الاعلام ص ١٤٠ ـ البيان المغرب ٤/ ١٩٠.
(٤) اعمال الاعلام ص ١٤٠.
(٥) جذوة الاقتباس ص ٦٢ ـ نفح الطيب ١/ ٤٠٨.
(٦) المعجب ص ٦٢ ـ بغية الملتمس ص ٣٧.

جيشاً بقيادة ابن بقنة وكذلك قدم لنجدته أمير غرناطة، ولكنهم تخوفوا من لقاء جيش ابن عباد فتفرقوا[1]. عندئذٍ اشتد ساعد ابن عباد وسار بجيشه لقطع الطريق على أمير صنهاجة الذي بلغه الخبر فطلب النجدة من ابن بقنة وكان قد فارقه لساعة، فعاد لنجدته ودارت معركة بين الفريقين البربري والأندلسي انتهت بهزيمة الأندلسيين ومقتل إسماعيل بن محمد بن عباد قائد الجيش وحمل الظافرون رأسه إلى الخليفة ادريس وذلك في محرم ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م[2].

بقي الخليفة في مالقة حتى وفاته ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م[3] وحاول ابن بقنة أخذ البيعة لابن ادريس يحيى، ولكنه تراجع عن الأمر[4] ولجأ يحيى إلى حصن قمارس حيث توفي سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م[5]. وخلفه أخوه حسن بن علي صاحب سبتة وتلقب بالمستنصر بالله[6]. وتوفي مسموماً بيد ابنة عمه إدريس ثأراً لأخيها يحيى[7] الذي قتله حسن وكانت زوجة له. وخلفه ابنه يحيى بن حسن الذي حكم مدة سنتين[8]. وخرج عليه ابن عمه حسن بن يحيى بن علي فخلعه وقتله بسبتة[9]، واستولى على مالقه واعتقل أخاه إدريس فيها[10]. ثم توفي مسموماً[11]، وترك ولداً صغيراً بسبته، فقام بأمره

(١) جذوة الاقتباس ص ٦٣ ـ المعجب ص ٦٢.
(٢) جذوة الاقتباس ٦٣.
(٣) بغية الملتمس ص ٣٨.
(٤) جذوة الاقتباس ص ٦٤.
(٥) نفح الطيب ١/ ٤٠٨.
(٦) نفح الطيب ١/ ٤٠٨ ـ اعمال الاعلام ص ١٤٠ ـ البيان المغرب ٣/ ١٩٢.
(٧) نفح الطيب ١/ ٤٠٨ ـ بغية الملتمس ص ٣٩.
(٨) البيان المغرب ٣/ ٢١٦ ـ اعمال الاعلام ص ١٤٠.
(٩) البيان المغرب ٣/ ٢١٦ ـ اعمال الاعلام ص ١٤٠ ويذكر فقط «أنه خلعه».
(١٠) اعمال الاعلام ص ١٤١ ـ بغية الملتمس ص ٣٩.
(١١) البيان المغرب ٣/ ٢١٦ ـ اعمال الاعلام ص ١٤١.

نجا الصقلبي أبو الفوز قائد والده في سبته وبايعه. وجاز أبو الفوز المضيق إلى الجزيرة الخضراء وفيها ابنا القاسم بن حمود وأراد إخراجهما منها، فخرجت إليه أمهما سبيعة وقالت له: (يا أبا الفوز أتقطع مواليك وتكشفهم عن البلاد ما هذا بحسن)[1]. عندئذٍ تراجع الوزير عن عمله وعاد إلى مالقه. وتآمرت عليه قبيلة برغواطة في الطريق وكان البرغواطيون أخوال حسن بن يحيى فأبوا أن يتخلوا عن الحموديين ويتبعون عبداً مملوكاً خصياً (أبا الفوز) فقتلوه[2] وعلقوا رأسه على شجرة[3]، ودخلوا مالقه، وقتلوا الوزير أبا جعفر أحمد بن أبي موسى وأخرجوا إدريس بن يحيى من سجنه وبايعه أمراء البربر وأعلنوا الخطبة باسمه سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م وتلقب بالعالي[4]. وقد مدحه الشعراء منهم الشاعر عبد الرحمن بن مقانا الاشبوني[5]. وحكم العالي حتى سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م عندما خلعه ابن عمه محمد بن إدريس بن علي بن حمود في شعبان من تلك السنة. وبويع محمد بالخلافة وتلقب بالمهدي[6]. وخرج الخليفة السابق إدريس بن يحيى إلى قلعة ببشتر، ثم انتقل إلى سبته مع أهله وأقام عند سواجات البرغواطي قائده عليها[7]. ثم رجع إلى الأندلس وأقام في رنده عند صاحبها أبي

---

(١) البيان المغرب ٣/٢١٦ ـ اعمال الاعلام ص ١٤١ ـ بغية الملتمس ص ٣٩.

(٢) اعمال الاعلام ص ١٤١ ـ بغية الملتمس ص ٣٩. يشير إلى اغتياله.

(٣) اعمال الاعلام ص ١٤١ ـ البيان المغرب ٣/ ٢١٧.

(٤) نفح الطيب ١/ ٤٠٨ ـ اعمال الاعلام ص ١٤١. ابن الأثير ٧/ ٢٨٩.

(٥) نفح الطيب ١/ ٤٠٨ مطلع القصيدة:

البرق لائح من أندرين ... ذرفت عيناك بالماء المعين

ولما وصل إلى البيت:

انظرونا نقتبس من نوركم ... أنه من نور رب العالمين

كان الشاعر ينشده القصيدة من وراء حجاب فأمر برفع الحجاب وأجزل له العطاء.

(٦) اعمال الاعلام ص ١٤١ ـ نفح الطيب ١/ ٤٠٨ ـ بغية الملتمس ص ٤٠.

(٧) اعمال الاعلام ص ١٤١.

نور بن أبي قرة اليفرني حيث دعا له بالخلافة[١].

كان محمد بن إدريس سفاكاً للدماء قتل جماعة من البربر. فلما رأى الحجاب ذلك تآمروا عليه، ودس إليه باديس بن حبوس الصنهاجي أمير غرناطة كأساً مسموماً مع رجل من كتامة وقال له: (هذه كأس جلبت للحاجب المظفر باديس فلم يرها تصلح إلا للخلافة فاختصك بها)[٢]. فأعجب بها محمد وملأها شراباً ورفعها إلى فمه فأحس أن بالأمر شيئاً. فأمر حاملها بشرب ما فيها فمات لساعته[٣].

ومات محمد بعد ثلاثة أيام من رائحة الكأس آخر سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٣م[٤] وتولى الأمر بعده ابن أخيه إدريس بن يحيى بن إدريس بن علي بن حمود وبويع بالخلافة وتلقب بالسامي[٥]. وأقام بمالقه. ثم غادرها إلى العدوة المغربية بزي تاجر ونزل بريف غماره[٦] فقبض عليه سواجات البرغواطي في سبته وقتله[٧].

بعد مقتل السامي عاد إدريس بن يحيى العالي إلى مالقه خليفة واستمر في الحكم حتى وفاته ٤٤٦هـ/١٠٥٤م. وخلفه ابنه محمد وتلقب بالمستعلي[٨] ثم نكث البعية للمستعلي معظم زعماء البربر وعلى رأسهم باديس أمير غرناطة الذي أرسل جيشاً استولى على مالقه وضمها إلى إمارته سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م[٩] وغادرها إلى العدوة المغربية واستقر في

(١) البيان المغرب ٣/٢١٧.
(٢) اعمال الاعلام ص ١٤١.
(٣) اعمال الاعلام ص ١٤١.
(٤) البيان المغرب ٣/٢١٨ ـ اعمال الاعلام ص ١٤٢.
(٥) اعمال الاعلام ص ١٤٢.
(٦) اعمال الاعلام ص ١٤٢.
(٧) البيان المغرب ٣/٢١٨ ـ اعمال الاعلام ص ١٤٢.
(٨) اعمال الاعلام ص ١٤٢ ـ البيان المغرب ٣/٢١٨.
(٩) نفح الطيب جـ ١.

مليلة حتى وفاته ٤٥٦هـ/١٠٦٤م والمستعلي آخر حاكم من الحموديين حكم مالقة.

واجتمع زعماء البربر وقادتهم إسحاق بن عبد الله البرزالي[١] ومحمد بن نوح صاحب موررور وعبدون بن خزرون صاحب أركش، وعلى رأسهم باديس بن حبوس صاحب غرناطة واستجه ومالقه، وقرر الجميع مبايعة محمد بن القاسم حاكم الجزيرة الخضراء ولقبوه بالمهدي[٢]. وسار الخليفة الجديد على رأس مبايعيه لقتال المعتضد بن عباد في إشبيلية وحاصروا المدينة[٣]. وقد انضم إليهم محمد بن الأفطس صاحب بطليوس[٤] وفتح الله بن يحيى حاكم ولبه الغرب[٥]. وقاموا بعملية تخريب واسعة من تدمير وانتساف المزارع وإحراقها ولكنهم فشلوا في حملتهم من الاستيلاء على إشبيلية فعادوا إلى مدنهم سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م[٦]. وتوفي محمد بن القاسم سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م بعد حكم دام سنة وثمانية أشهر. وخلفه ابنه محمد الذي تلقى البيعة من أنصار أبيه[٧]. ثم خلفه ابنه القاسم ابن محمد بن محمد بن القاسم الذي تلقب بالمستعلي[٨] واستقر بالجزيرة الخضراء وهي المقاطعة الأندلسية الوحيدة التي بقيت بيد الحموديين[٩].

وقرر ابن عباد ضم الجزيرة الخضراء إلى مملكته، فأرسل جيشه

---

(١) اعمال الاعلام ص ١٤٢ ويسميه الزناتي.
(٢) البيان المغرب ٣/ ٢٣٠ ـ اعمال الاعلام ص ١٤٢. بغية الملتمس ص ٤١.
(٣) البيان المغرب ٣/ ٢٣٠ ـ اعمال الاعلام ص ١٤٢.
(٤) البيان المغرب ٣/ ٢٣٠.
(٥) اعمال الاعلام ص ١٤٢.
(٦) اعمال الاعلام ص ١٤٢ ـ البيان المغرب ٣/ ٢٣٠.
(٧) اعمال الاعلام ص ١٤٢.
(٨) البيان المغرب ٣/ ٢٣٠ ـ اعمال الاعلام ص ١٤٢.
(٩) اعمال الاعلام ص ١٤٢.

وأسطوله لقتال المستعلي القاسم[1] بقيادة الوزير عبد الله بن سلام[2] ولم يستطع المستعلي المقاومة، فتنازل عن ملكه بعد أن تلقى الأمان من ابن عباد. ورحل إلى المرية بحراً واستقر فيها إلى أن مات سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م.

بوفاة القاسم المستعلي انقرضت دولة الحموديين في الأندلس بعد أن عاشت ثلاثاً وأربعين سنة من ٤٠٧ ـ ٤٥٠هـ/ ١٠١٦ ـ ١٠٥٨م. الذي يمكن قوله في إحداث تلك المرحلة المظلمة ما أورده الضبي في بغية الملتمس:

(فصار الأمر في غاية الأخلوقة والفضيحة أربعة كلهم يسمى بأمير المؤمنين في رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخاً في مثلها)[3].

---

(١) اعمال الاعلام ص ١٤٢.

(٢) اعمال الاعلام ص ١٤٣ ـ البيان المغرب ٣/ ٢٣١.

(٣) بغية الملتمس ص ٤١ ـ المعجب ص ٦٨.

المصادر والمراجع

١ ـ علي بن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور ـ الرباط ١٩٧٣ م.

٢ ـ الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، دارالكتاب الدار البيضاء.

٣ ـ أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ت ٥٢٤، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، دار الثقافة ـ بيروت.

٤ ـ ابن حزم الأندلسي، **رسائل ابن حزم**، المؤسسة العربية للدراسة والنشر.

٥ ـ أحمد ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور ـ الرباط ١٩٧٤ م.

٦ ـ الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني ت ١٠٤١ هـ، **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٧ ـ محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، مؤسسة ناصر للثقافة.

٨ ـ عبدالله محمد بن يوسف الأزدي ٣٥١ ـ ٤٠٣ (ابن الفرضي)، **تاريخ علماء الأندلس**، دار الكتاب اللبناني.

٩ ـ أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي ٤٢٠ ـ ٤٨٨/ ١٠٢٩ ـ ١٠٩٥، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، دار الكتاب اللبناني.

١٠ ـ أبو عبدالله محمد بن الحارث الخشني القروي (ت ٦٦١ هـ/ ٩٧١ م)، **قضاة قرطبة**، دار الكتاب اللبناني.
١١ ـ ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، دار الثقافة ـ بيروت.
١٢ ـ أبو عبدالله بن الأبار القضاعي، **الحلة السيراء**، دار النشر للجامعيين ١٩٦٢ م.
١٣ ـ علي الجزنائي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، المطبعة الملكية ـ الرباط ١٩٦٧ م.
١٤ ـ أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان أبو عبدالله القيسي الإشبيلي (ت ٥٢٩)، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، دار عمار ١٩٨٣ م، ١٤٠٣ هـ.
١٥ ـ ابن حيان القرطبي، **المقتبس من أبناء أهل الأندلس**، دار الكتاب العربي.
١٦ ـ ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، دار المعارف ـ مصر.
١٧ ـ الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، دار صادر ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ م.
١٨ ـ العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي المتوفي ٨٠٨ هـ، **تاريخ ابن خلدون كتاب العبر**، مؤسسة جمّال ـ بيروت.
١٩ ـ العلامة أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، دار الفكر ـ بيروت.
٢٠ ـ عبدالله كنون، **النبوغ المغربي**، دار الكتاب اللبناني.
٢١ ـ د. عبدالله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب، دار المعارف ـ مصر.
٢٢ ـ د. عبد الهادي التازي، **جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس**، دار الكتاب اللبناني.
٢٣ ـ د. عبدالله العروي، **تاريخ المغرب**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
٢٤ ـ د، محمد أبو المحاسن عصفور، **المدن الفينيقية**، دار النهضة ـ بيروت.

٢٥ ـ ابن دراج القسطلي (ت ٤٢١ هـ ـ ١٠٣٠ م)، ديوان ابن دراج القسطلي، منشورات المكتب الإسلامي ـ بدمشق.
٢٦ ـ أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى ـ بغداد.
٢٧ ـ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.
٢٨ ـ لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام، دار المكشوف.

فهرس الموضوعات